الغزو الفكري
في
التصور الإسلامي وكيفية مواجهته

الدكتور / أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ بقسم العقيدة - كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

ⓒ **الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ١٤٢١هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السايح ، أحمد عبدالرحيم

الغزو الفكري في التصور الإسلامي وكيفية مواجهتة - الرياض.

١٠٢ ص ؛ ١٤ × ٢١ سم

ردمك : ٣-١٩-٦١٦-٩٩٦٠

١- الغزو الفكري   أ. العنوان

ديوي ٢١٩,٩   ٢١/٠٠٣٥

رقم الايداع ٢١/٠٠٣٥

ردمك : ٣-١٩-٦١٦-٩٩٦٠

مصطلح الغزو الفكري:

بداية نقف عند مصطلح « الغزو الفكري» الذي يتردد في هذا العصر كثيراً على ألسنة الباحثين، والكاتبين، والمتحدثين. وإن وقفة استقرائية، تكشف في وضوح: أن هذا المصطلح، لم يسمع به قبل القرن الرابع عشر الهجري «القرن العشرين الميلادي».

ولكن ليس معنى عدم وجود المصطلح، أو عدم استخدام المصطلح، قبل القرن الرابع عشر الهجري، أن معنى الغزو الفكري، ومفهومه، وموضوعه، لم يكن موجوداً، لأن المستقريء لأحوال الأمم والشعوب، يجد أن مفهوم الغزو الفكري، كان موجوداً في القديم، وفي الحديث.

وكلمة: «الغزو» في اللغة العربية، تُعْطي معنى: القصد، والطلب، والسير إلى قتال الأعداء، في ديارهم، وانتهابهم، وقهرهم، والتغلب عليهم.

ومصطلح الغزو الفكري، قصد به: «إغارة الأعداء على أمة من الأمم، بأسلحة معينة، وأساليب مختلفة، لتدمير قواها الداخلية، وعزائمها ومقوماتها. وانتهاب كل ما تملك» . (١)

والفرق بين «الغزو الفكري» ، و « الغزو العسكري» : أن الغزو العسكري يأتي للقهر، وتحقيق أهداف استعمارية، دون رغبة الشعوب المستعمرة. أما الغزو الفكري فهو لتصفية العقول، والأفهام، لتكون تابعة للغازي. (٢)

وقد يكون الغزو الفكري أشد وأقسى، لأن الأمة المهزومة فكرياً، تسير إلى غازيها، عن طواعية، وإلى جزارها عن رضا، واقتناع، وحب، لا تحاول التمرد أو الخلاص.

وبهذا يظهر ما بين المصطلح واللغة من صلة، حيث أن كلمة الغزو استعملت في معناها، وهي الإغارة على أمة من الأمم للإعتداء عليها، وانتهابها، ولكن عن طريق الفكر، وتدمير القوى المفكرة فيها، وهذا ما لفتت إليه كلمة: الفكر، التي تطابق معناها في العربية، معناها في المصطلح. (٣)

ويمكن أن يقال: إن المصطلح استعمار كلمة «الغزو» للفكر، لما بينها وبين الغزو في الحرب من علاقة، في نهب الشعوب، وتدميرها، والسيطرة عليها.

ويمكن أن يقال: إن مصطلح «الغزو» مجاز على التشبيه بالحرب الفعلية، في التدمير، والتخريب، والانتهاب، والسيطرة على الشعوب . . ولهذا شاع استعمال هذا المصطلح، وأضرابه من المصطلحات، التي على هذا المعنى، وتسير في فلكه. (٤)

ومما يسترعي الانتباه، أن بعض العلماء والباحثين: ينكرون، ويستنكرون وجود «الغزو الفكري»، معتبرين الحديث عنه مجرد «وهم» من الأوهام.

وهؤلاء العلماء إنما ينطلقون من تصورهم لعالم اليوم، باعتباره - رغم الحدود الدولية السياسية، والحواجز الجغرافية - وبسبب من التقدم الهائل في ثمرات «ثورة الإتصال» ينطلقون من تصورهم لعالم اليوم باعتباره «وطناً واحداً»، لحضارة واحدة، يسمونها: «حضارة العصر» أو «الحضارة العالمية» أو «الحضارة الإنسانية» ويتصورون الأمم، والشعوب، والقوميات، مجرد درجات ومستويات في البناء الواحد، لهذه الحضارة الواحدة.

ومن ثم فليس في هذا التصور حدود - لها حرمة الحدود -

تميز «أوطاناً» متعددة، لحضارات متميزة . . ولهذا فإن عبور الفكر – كل الفكر – للحدود – كل الحدود – ليس فيه عندهم شبهة «غزو» ولا أثر «عدوان». (٥)

وهذا التصور يُروِّجُ له بشتى الأساليب، فثمة دعوة إلى «فكر عالمي» وهناك دعوة إلى أن الحضارة الحديثة «حضارة عالمية» وهناك دعوة إلى « ثقافة عالمية ».

وهناك حركة «البهائية» التي نشأت سنة ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م تحت رعاية الاستعمار الروسي، واليهودية العالميمة، والاستعمار الإنجليزي، تزعم أنها جاءت بدين عالمي جمع: البوذية، والبرهمية، والزرادشتية، والمانوية، والمزدكية، والفرق الباطنية، واليهودية، والنصرانية، والدهرية. وهذه الدعوة تجد رواجاً. (٦)

وهناك علماء ومفكرون، ينكرون أن يكون عالم اليوم، وطناً حضارياً واحداً. لحضارة عالمية واحدة . . وهؤلاء العلماء يَدْعُون إلى ضرورة إحترام «الحدود الحضارية» . . لأن العالم في تصورهم: هو أقرب ما يكون إلى «منتدى عالمي لحضارات متميزة» تشترك أممها في عضوية هذا المنتدى، ومن ثم فإن بينها ما هو «مشترك حضاري عام» . . وأيضاً، فإن هذه الأمم تتمايز حضارياً . . الأمر الذي ينفي الوحدة الحضارية، ويستدعي الحفاظ على «الهويات» الحضارية المتميزة . . لا لمجرد الحفاظ عليها – رغم أهميته . . إنما لأسباب وطنية، وقومية، وعقدية، تلعب دورها في إنهاض أمم كثيرة، من كبوتها وتراجعها. لما لهذه الخصوصيات، من قدرات على شحن شعوب هذه الأمم، بالكبرياء المشروع، والطاقات المحركة، في معركة الإبداع . . ولما للتعددية من دور في

إثراء مصادر العطاء العالمي». (٧)

وهؤلاء العلماء الذين ينكرون أن يكون عالم اليوم وطناً حضارياً واحداً، لحضارة عالمية واحدة، يذهبون: إلى أن التعددية الحضارية، تكشف وتعري، روح الهيمنة، والعدوان، والاستعلاء، التي تخفيها الحضارة المتغلبة، على عالمنا المعاصر.

وهي الحضارة الغربية، تحت ستار: «وحدانيتها .. وعالميتها .. وإنسانيتها».

كما أن هذه التعددية تقوم بدور فعال، في إذكاء روح المقاومة، عند الأمم المستضعفة حضارياً، ضد السمات والقسمات التي مثلت وتمثل «مأزق الحضارة الغربية» الذي يمسك اليوم بخناق إنسانها، وذلك حتى لا تعم مأساته كل بني الإنسان. (٨)

وهؤلاء العلماء يعترفون بوجود: «الغزو الفكري» وينبهون على مخاطره التي تعددت، وتكاد تحيط بالمجتمعات الإسلامية.

وهؤلاء العلماء: يرفضون دعوى «الوطن الحضاري الواحد لعالمنا المعاصر» ودعوى «الحضارة العالمية الواحدة» لهذا الوطن الواحد، ويقدمون بديلاً لها: دعوى أن عالمنا هو أقرب ما يكون إلى «منتدى عالمي لحضارات متميزة» وأن الأمم المستضعفة حضارياً لابد لها من النضال الحضاري، ضد نزعة التفرد، والهيمنة، التي تمارسها الحضارة الغربية المتغلبة - بالاستعمار القديم والجديد - على غيرها من الحضارات .. فالتعددية لا الواحدية، هي الحقيقة الممثلة للواقع الحضاري، في الواقع الذي نعيش عليه. ومن ثم فإن هناك حالات لتعدي «الحدود الحضارية». تمثل «غزواً فكرياً» لا شك فيه. (٩)

وهذا التصور يؤيده واقع حياة الشعوب، فالذين يعايشون حياة الشعوب والأمم ذات الحضارات الغنية، والتاريخ القديم، والتراث العريق، أو يغوصون في تراث هذه الأمم وفلسفتها، ومذاهبها، وتقاليدها، وأعرافها . . يدركون أن عالمنا به - حقاً - أمم متعددة، تتميز كل منها بشخصيتها القومية والحضارية المتميزة.

وإننا إذا نظرنا في مذاهب هذه الأمم وأعرافها، وفي معايير الحلال والحرام والمشروع والممنوع لدى أبنائها، وفي موازين الأذواق والحاسة الجمالية، وفي تصوراتها لمكان الإنسان من الكون، وتصوراتها لمصيره بعد الموت، وتصوراتها الفلسفية لهذا الكون، وما وراء المادة والطبيعة . . إذ نحن نظرنا إلى مذاهب هذه الأمم، في هذه القضايا الأمهات. أدركنا السمات التي تمايز بينها - جنباً إلى جنب - مع سمات تشترك فيها، فتجمع بينها. (١٠)

ولا يخفى أن الباحث الذي يسبر أغوار المواريث الفكرية لهذه الأمم، ويتتبع خيوط هذا التمايز الحضاري إلى حيث تضرب بجذورها في أعمق أعماق التاريخ . . حيث كان البابليون، والآشوريون، والفينيقيون، والمصريون، وغيرهم ممن أسهموا في الفكر الإنساني، وكان لهم تمايز حضاري. (١١)

ولعل نظرة فاحصة، إلى أمم مثل: الصين . . والهند . . واليابان، ستفضي بالباحث إلى الاجتماع على حقيقة تميز الشخصيات القومية، والمواريث الحضارية، وطرائق العيش، والفلسفة، والحياة، وفي النظرة للكون وتصوره، لدى شعوب، وأمم هذه الحضارات.

وكذلك الحال إذا نحن تأملنا الحضارة الغربية، منذ اليونان،

وحتى نهضتها الحديثة . . والحضارة الإسلامية منذ تبلورها كثمرة لإندماج المواريث القديمة للشعوب التي دخلت الإسلام - بعد الإحياء لهذه المواريث - كثمرة لاندماج هذه المواريث في الفكر الإسلامي، الذي اسطفاها وطورها وفقا لمعاييره. (١٢) حيث لم يكن المسلمون مجرد نقلة، ولكن إضافاتهم للأصول التي نقلوا عنها تشهد بأنهم زادوا، وابتكروا، لأنهم كانوا ينظرون بعين إلى الثقافة اليونانية، وبالعين الأخرى إلى التعاليم الإسلامية. (١٣)

على أن الذي ينبغي أن نقف عنده: «أن التصور الذي يرى أن العالم وطناً واحداً لا غزو لفكر فيه، تصور يقوم على انتصار الحضارة الغربية المتغلبة التي تعمل على مسخ الحضارات العريقة».

إذن: لابد من التصور الذي يقوم على أن الفكر إذا نظرنا إليه، على المستوى العالمي الإنساني، وجدنا في هذا الفكر: «ماهو مشترك إنساني عام» لا يختص بحضارة بذاتها، وفي هذا الفكر أيضاً ما يتميز بالخصوصية والاختصاص.

والتمييز في الفكر بين ما هو مشترك إنساني، وبين ما هو خصوصية حضارية إنما تحكمه وتحدده معايير موضوعية.

فكل العلوم التي موضوعها الطبيعة وظواهرها، والمادة وخصائصها، هي من قبيل الكفر، الذي هو مشترك إنساني عام، وذلك لأن مناهجها تتميز بالحياد العلمي، ولأن التجربة الملموسة بالحواس المادية، هي السبيل لاكتشاف حقائق هذه العلوم، تلك الحقائق التي هي بنت الدليل، والتي لا تختلف باختلاف مذاهب، وعقائد، وأجناس، وفلسفات المكتشفين. ومن ثم فهي لا تتغاير بتغاير القوميات، والحضارات، بل هي واحدة على المستوى

الإنساني، كما أن موضوعاتها - المادة وظواهرها - واحدة هي الأخرى، لا تختلف ولا تتغاير باختلاف وتغاير الحضارات. فعلوم مثل الرياضيات بفروعها. ومثل الكيمياء، والطبيعة، والطب، والجيولوجيا. لم ولن تختلف مناهجها وحقائقها، وقوانينها باختلاف الحضارات . . قد تتمايز وظائف استخدام قوانينها ونظرياتها ومكتشفاتها. لكن حقائق علومها أي « فكرها العلمي » سيظل واحداً، مهما اختلفت المذاهب، والعقائد، والحضارات.(١٤)

والعقل البشري استطاع بما اكتسب من خبرة، ودربة، ومرانة، أن يصنف هذه العلوم، وأن يحكم ما بينها من وشائج، وأن يستفيد بما بينها من صلات، وروابط.

والنتائج العلمية متصل بعضها ببعض، ويعتمد بعضها على بعض، ولهذا كانت الحضارات الإنسانية ليست ملكاً لأمة بعينها، ولا هي وقف على جماعة من الناس، لأنها صرح هائل قد أسهمت فيه كل أمة بنصيب. (١٥)

ويلحق بهذه المنظومة من حقائق العلوم الطبيعية الخاصة بدراسة المادة وظواهرها وأسرارها، على نحو ما، وإلى حد كبير العديد من ثمرات التجارب الإنسانية في الوسائل، والنظم، والمؤسسات، والخبرات التي ترشد أداء الإنسان وهو يسعى إلى تحقيق المقاصد والغايات.

فعلى الرغم من تمايز المقاصد والغايات والمثل، فإن تجارب الإنسانية في الوسائل، والنظم، والمؤسسات، قد تكون صالحة في أحيان كثيرة للإقتباس - مع التطويع - وللتمثل، والاستلهام.

هذا عن العلوم الطبيعية، والتجارب المادية، التي تمثل

حقائقها وخبراتها فكراً عالمياً، هو من صميم « المشترك الإنساني».

أمـا الشق الآخـر من الفكر، الذي يدخل في صـمـيـم الخصوصية الحضارية، التي تتمايز بتمايز الحضارات، فهو ذلك الذي ينطلق من العقائد والمذاهب والفلسفات.

فكما تميزت علوم «المادة» الثابتة بالعالمية، فغدت حقائقها، وقوانينها «مشتركاً إنسانياً عاماً» تميزت، وتتميز علوم العقائد، والمذاهب، والفلسفات، بالخصوصية الحضارية، التي تجعلها وثيقة الصلة بطبائع الأمم، ومعتقدات الشعوب، وطرائقها في الحياة. (١٦)

الغزو الفكري

لقد وضح لنا: أن هناك «غزو فكرى» مقصود، يعمل لإذابة الشعوب، وإنسلاخها عن عقائدها، ومذاهبها، وحضاراتها، لتصبح مسخاً شائعاً تابعاً لغيره، يؤمر فيطيع.. ولقد عمل هذا الغزو على تضليل المجتمعات الإنسانية، وخداعها، والتمويه عليها، وقلب الحقائق، وتشويه الحقيقة، عن طريق تصنيع الكلمة، وزخرفة القول، والدخول إلى المخاطب، من نقطة الضعف، والاستغفال لإغرائه، والإيقاع به، والإيحاء إليه بسلامة الفكرة، وصحة المفهوم المزيف الذي تحمله كلمات الغزو.

ولكن تهاوت أمم وشعوب وأجيال، وتساقطت في هاوية الضلال والانحراف والفساد الخلقي، والعقدي، والاجتماعي بسبب تصورات «الغزو» المزخرفة الخداعة، التي يرقص السذج، والجهال على نغم إيقاعا، ويتفنون بسماعها وأناقة ظاهرها.

وكم عانى الإنسان والشعوب من أولئك الذي يصنعون «الغزو الفكري» ويصدرونه في موجات، تقتحم الديار والبيوت، لقد قيدت الإنسانية إلى هاوية الضلال، والإنحراف. ولقد كان «للغزو الفكري» في كل جيل، وفي كل عصر دوره التخريبي، في حياة الناس، إلا أن البشرية لم تشهد في مرحلة من مراحل حياتها وضعاً كان فيه «للغزو الفكري» خبراء، ومتفلسفون، وأجهزة، ومؤسسات، كعصرنا الحاضر هذا، الذي اتخذ فيه « الغزو الفكري» صبغة الفلسفة، والنظرية، والمبدأ، الذي يعتنقه الأتباع، ويدافعون عنه، وينقادون له.

وقضية الغزو الفكفري، أصبحت اليوم، من أشد القضايا خطراً، وتبدو ظواهر هذا الغزو المدمر، في قلوب وعقول كثير من المثقفين، في هذا العصر واضحة بينة، والسلاح الذي يستعمله «الغزو الفكري» مدمر قتَّال، يؤثر في الأمم والمجتمعات أكثر مما يؤثر المدفع والصاروخ والطائرة، وقد ينزل إلى الميدان، ويعظم خطره، حين تخفق وسائل الحديد والنار في تحقيق الهدف، والوصول إلى الغاية، والخطر الذي يحتضنه هذا الغزو أكثر بكثير من قتل الأفراد، بل من قتل جيل بأسره، إذ يتعدى ذلك إلى قتل أجيال متعاقبة، والسلاح الذي يستعمله هذا الغزو هو سلاح الحيلة والشبهات وتحريف الكلم، والخديعة في العرض. (١٧)

ومما لا ينكر : أنه لم يواجه دين من الأديان، ولا عقيدة من العقائد، مثل ما واجه الإسلام من تحديات، فقد واجه الإسلام منذ فجر تاريخه، تحديات عنيدة من مخالفيه، فقد واجه المشركين في مكة، واليهود في المدينة، ثم لما فتحت الأمصار، وانتشر الإسلام

فيها واجهت الثقافة الإسلامية أفكاراً شعوبية إلحادية، وفلسفات وثنية، كالفلسفات الفارسية، واليونانية، والهندية، وغيرها. ولكن الإسلام ثبت أمام هذه التحديات وانتصر عليها. فقد كان المجتمع الإسلامي آنذاك يعي الإسلام وعياً كاملاً، ويدرك أخطار الأفكار والاتجاهات التي كان يطرحها الفلاسفة والزنادقة، وما تحمله من شبهات، وهي في جملتها تعمل على نقل الفكر، من مجال أصالة الفطرة، ومنطق العقل الصحيح، وطريق التوحيد، وطابع الإيمان، إلى مجال الإلحاد والإباحية. غير أن المجتمع تصدى لهم، وأخذ يكشف زيفهم، ويبين ما انطوت عليه قلوبهم من كيد، ولم تستطع أن تنال من الإسلام عبر العصور.

على أن أخطر هذه التحديات هي تلك التي تواجهها المجتمعات الإسلامية اليوم، وهي تحديات تتمثل بالمواجهة السافرة حيناً، والمستترة أحياناً، هذا التحدي الذي يتمثل حالياً بالغزو الفكري الغربي. (١٨).

أولا : العداء الصليبي للإسلام والمسلمين :

والباحثون يدركون أن أوربا اكتشفت الفكر الإسلامي، في مرحلتين من مراحل تاريخها : فكانت مرحلة القرون الوسطى، قبل وبعد «توماس إلا كويني» (١٩) تريد اكتشاف هذا الفكر، وترجمته . . ومن أجل ذلك إثراء ثقافتها بالطريقة التي أتاحت لها فعلاً تلك الخطوات، التي هدتها إلى حركة النهضة، منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، وفي المرحلة العصرية والاستعمارية، فإنها تكتشف الفكر الإسلامي مرة أخرى، لا من أجل تعديل ثقافي، بل من أجل تعديل سياسي، لوضع خططها السياسية، مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية من ناحية أخرى، ولتيسير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه السياسات في البلاد الإسلامية. (٢٠)

ويذكر المؤرخون أن الجيوش الأوروبية الصليبية لما هاجمت بلاد الإسلام كانت مدفوعة إلى ذلك بدافعين :

الدافع الأول : دافع الدين، والعصبية العمياء التي أثارها رجال الكنيسة في شعوب أوروبا، مفترين على المسلمين أبشع الإفتراءات، محرضين النصارى أشد تحريض على تخليص مهد المسيح من أيدي الكفار - أي المسلمين - فكانت جمهرة المقاتلين من جيوش الصليبيين من هؤلاء الذين أخرجتهم العصبية الدينية من ديارهم عن حسن نية، وقوة عقيدة، إلى حيث يلاقون الموت، والقتل، والتشريد، حملة بعد حملة، وجيشاً بعد جيش.

والدافع الثاني: دافع سياسي استعماري، فلقد سمع ملوك أوروبا بما تتمتع به بلاد المسلمين من حضارة، وثروات، فجاءوا يقودون جيوشهم باسم المسيح، وما في نفوسهم إلا الرغبة في الاستعمار والفتح، وشاء الله أن ترتد الحملات الصليبية كلها مدحورة مهزومة. (٢١)

ويكاد يكون معروفاً أن أوروبا شنت ثمان حملات صليبية على الشرق الإسلامي، وقد بدأت الحروب الصليبية منذ منتصف القرن الحادي عشر، واستمرت حتى نهاية القرن الثالث عشر أي ما يقرب من مائتي وخمسة وعشرين عاماً في ثماني حملات من الحملات المدججة بالعدد والمعدات، ويصف كاهن مدينة (لوبوي ريموند واجيل) سلوك الصليبيين حينما دخلوا على القدس، فيقول : «حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقطعت رؤوس بعضهم فكان أقل ما أصابهم وبقرت بطون بعضهم، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحرق بعضهم في النار، فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوي أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوي بعض ما نالوه». (٢٢)

وروي الكاهن نفسه خبر ذبح عشرة آلاف مسلم في مسجد عمر - رضي الله عنه - ويقول في هذا: « لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان، فكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك، وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها. فإذا ما اتصلت ذراع بجسم لم يعرف أصلها،

وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملحمة لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة». (٢٣)

ويذكر التاريخ أن الحملة الصليبية عند دخولها بيت المقدس في ١٥ مايو عام ١٠٩٩م قد ذبحت أكثر من سبعين ألف مسلم حتى سبحت الخيل إلى صدورها في الدماء، وفي أنطاكية قتلوا أكثر من مائة ألف مسلم.

فالأمر خطير، إنه حقد الشر على الحق، والرذيلة على الفضيلة، وعداوة الشرك للتوحيد، وخصومة الضلال للهدى. (٢٤)

وقد صمدت الأمة الإسلامية في وجه الحروب الوحشية التي سلبت، ونهبت، وقتلت، وفتكت.

وبعد مضي أكثر من قرنين من الحروب دامية اشتد وطيسها بين كتائب الإيمان وبين جحافل الشر، ارتدت الحروب الصليبية، وقد باءت هذه الحملات بالاخفاق والهزيمة، فالقديس «لويس التاسع» قائد الحملة الصليبية الثامنة، وملك فرنسا، وقع أسيراً في مدينة المنصورة في مصر. ثم خلص من الأسر بفدية، ولما عاد إلى فرنسا، أيقن أن قوة الحديد والنار لا تجدي نفعاً مع المسلمين الذين يملكون عقيدة راسخة، تدفعهم إلى الجهاد، وتحضهم على التضحية بالنفس، وبكل غال.

إذن: لا بد من تغيير المنهج والسبيل، فكانت توصياته: أن يهتم أتباعه بتغيير فكر المسلمين، والتشكيك في عقيدتهم وشريعتهم، وذلك بعد دراستهم للإسلام لهذا الغرض، وهكذا تحولت المعركة من ميدان الحديد والنار إلي ميدان الفكر (٢٥)، لأن

القضاء على الإسلام أو تحويل المسلمين عن دينهم، لا يمكن أن يأتي عن طريق القوة المادية، والغزو المسلح.

ولقد بدأت حركة «الغزو الفكري» من منطلق ضرب المسلمين عن طريق الكلمة بعد هزيمة الحروب الصليبية - كما وجههم «لويس التاسع» - والعمل على ترجمة القرآن، والسنة، وعلوم المسلمين، للبحث عن الثغرات التي يدخلون منها إلى إثارة الشبهات، وقد أعلنوا صراحة أن الإسلام هو عدوهم الأول، وأن أكبر غاية لهم هي ضرب وهدم قواعده. (٢٦) لقد فشلت الحروب الصليبية من الوجهة الحربية . . لكن بقى «الغزو الكفري» ينفث سمومه، ويثير الشكوك، وبقيت النزعة الصليبية تتوارى خلف ستار من الدبلوماسية، والرياء السياسي، تحرك ما تريد تحريكه، وتقف خلف الغزو الفكري، بكل ما لها من قوة، وعلم.

ولا شك أن العداء الصليبي للإسلام، هو الدافع الأساسي والأصيل، للغزو الفكري الذي تسلط على مجتمعات الأمة الإسلامية، ونجد أن هذا العداء أخذ «شكل السعار الوبائي، لدى الأمم الغربية «الصليبية» فأخذوا مستميتين يوزعون السموم، ذات اليمين، وذات الشمال، ويفترون الأكاذيب، ويطمسون الحقائق، ويدبرون المكائد، ويتصيدون السقطات، ثم يدخلون في روع أنفسهم، وبني جلدتهم أنهم أرقى عنصراً، وأفضل عقلاً، وأفلح ديناً، وأنهم أوصياء على البشرية، وسادة الإنسانية، وهداتها، ومرشدوها». (٢٧)

وقال «وليم غيفورد بلغراف» الإنجليزي المسمى بالحرباء: الكلمة المشهورة التي يلخص فيها عداء الغربيين للإسلام: «متى

توارى القرآن، ومدينة مكة، عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربي، يندرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه. (٢٨)

وجلاد ستون رئيس وزراء بريطانيا يقول: «ما دام القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان». (٢٩)

ويرى غاردنر: «أن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا». (٣٠)

ويوضح هذا العداء، ويذكر بعض أسبابه المستشرق بيكر، فيقول: «إن هناك عداء من النصرانية للإسلام، بسبب أن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى، أقام سداً منيعاً في وجه الاستعمار، وانتشار النصرانية، ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها». (٣١)

ويقول في هذا المعنى «لورانس بروان»: إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي» (٣٢) ثم بين «لورانس بروان»: أن خطر المسلمين هو الخطر العالمي الوحيد في هذا العصر، الذي يجب أن تجتمع له القوى، ويجيش له الجيوش، وتلتفت إليه الأنظار، فيقول حاكياً أراء المبشرين: «إن القضية الإسلامية تختلف عن القضية اليهودية، إن المسلمين يختلفون عن اليهود في دينهم، إنه دين دعوة، إن الإسلام ينتشر بين النصاري أنفسهم، وبين غير النصارى، ثم إن المسلمين كان لهم كفاح طويل في أوروبا، فأخضعوها في مناسبات كثيرة، على أن الفرق

الأساسي بين المسلمين واليهود - كما يراه المبشرون - هو أن المسلمين لم يكونوا يوماً ما أقلية موطؤة بالأقدام» . . . ثم يقول: «إننا من أجل ذلك نرى المبشرين ينصرون اليهود على المسلمين في فلسطين، لقد كنا نُخوّف من قبل بالخطر اليهودي، والخطر الأصفر (باليابان وتزعمها على الصين) وبالخطر البلشفي، إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق (لم نجده ولم يتحقق) كما تخيلناه، إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مُضطهد لهم (٣٣) عدونا الألد، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا، أما الشعوب الصفر، فإن هناك دولا ديمقراطية كبيرة، تتكفل بمقاومتها، ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام» . (٣٤)

ولقد اشترك الاستعمار الغربي، والجهد التبشيري، والحقد الصليبي، في حرب المسلمين، وتشتيت تراثهم، ونهب ديارهم، يخيم عليهم سحابة سوداء، من البغضاء والكراهية، يتمثل هذا فيما حدث في عام ١٩١٨م عندما دخل اللورد اللنبي القدس وأعلن: «الآن انتهت الحروب الصليبية» كان هذا القائد يعبر عن الروح الأوروبية، الروح الصليبية التي ظلت متوهجة في أعماقهم طوال تلك الحقب، وبنفس الحقد الذي صدر عن الجنرال الإنجليزي، كان مسلك الجنرال الفرنسي «غورو» قائد الجيش الفرنسي في دمشق حين ذهب إلى قبر صلاح الدين، بعد أن جاءه راكباً سيارة مكشوفة، وترجل إلى القبر، وقال قولته المشهورة: «نحن هنا يا صلاح الدين» وفي اليوم التالي عمل الشيء نفسه في حمص، حيث ذهب إلى قبر «خالد بن الوليد» - رضي الله عنه - وقال: « نحن هنا يا خالد» . (٣٥)

هذا الحقد، والضغن، والمقت، كان سبباً قوياً، في الإغارة على المسلمين، بشتى الأساليب، والطرق، والأشكال، والألوان، وما زالت تلك الموجة، تعلو، وتشتد، وتمتد، ثقافياً وفكرياً، لتخريب قواعد الإسلام، والأخلاق الإسلامية، وإشاعة الأفكار والتيارات الهدامة (٣٦)، وشغل الأمة الإسلامية، بكل ما هو هامشي في حياتها، حتى لا تدرك اليقظة الواعية، ولا تنتبه إلى ما يحاك حولها.

لقد وجد الغربيون أن خير طريق لغزو العالم الإسلامي واخضاعه، هو سلوك الغزو الفكري، فوضعوا الخطط، وحاكوا المؤامرات للغارة على الأفكار والمفاهيم الإسلامية، وعلى كل ما له صلة بالإسلام، حضارة وثقافة، وصارت قاعدتهم التي ارتكزوا عليها: «إذا أرهبك عدوك فأفسد فكره ينتحر به، ومن ثم تستعبده»، وانطلقت الصيحة إلى ضرورة نقل المعركة من ساحة الحرب إلى ميدان الفكر والمعرفة (٣٧). فأغاروا على حضارة الإسلام وثقافته سعياً وراء هدم عقائده وأفكاره، ونشر الأفكار الغربية بديلاً عنها.

ولا شك أن الغزو الفكري أعمق أثراً، وأشد فتكاً في حياة الأمة من الغزو المسلح، لأنه يتسلل إلى عقولها وقلوب أبنائها، ذلك أن الأمم تقاس بمقوماتها العقدية، والفكرية، وقيمها الخلقية.

فالغزو الفكري الأخلاقي أخطر من الغزو المادي المسلح، لأنه يمضي بين الناس، في صمت ونعومة وخفاء في الأهداف، مما يجعل الناس تدريجياً يتقبلون كل جديد، ولو خالف قيمهم وعقائدهم وأفكارهم دون معارضة، ويتقبلون الذوبان في بوتقة

أعدائهم وهم ينظرون ولا يشعرون. (٣٨)

وإذا كان العداء الصليبي للإسلام والمسلمين سبباً رئيسياً دفع بالغرب إلى «الغزو الفكري» للمجتمعات الإسلامية، فإن هناك أسباب أخرى - غير العداء الصليبي - ساعدت على انتشار «الغزو الفكري» وعملت على هزيمة المسلمين أمام هذا الغزو، ونجد ذلك واضحاً في ثانياً.

ثانياً: الاستعمار الغربي للمجتمعات الإسلامية:

لقد تعرض المجتمع الإسلامي في آسيا، وإفريقيا، للطابع الأيديولوجي، للمجتمع الأوروبي، سواء الحديث منه في القرن التاسع عشر، أو المعاصر في القرن العشرين، ولم تكن للمجتمع الإسلامي مناعة في رفض هذا الطابع وتحديه، وعدم تقبله.

فتعرض للغزو الأوروبي، من أجل الصناعة الغربية، منذ أثمر عهد النهضة الأوروبية ثمرته في التحرر والخلاص من سلطة الكنيسة، وفي استرداد الإنسان الأروبي حرية الحركة في التجارة، وفي شؤون المال على العموم، وحرية التفكير والتوجيه السياسي. (٣٩)

وكان الوضع في البداية قبل الاستعمار تربصاً من جانب المجتمع الأوربي بالمجتمعات الإسلامية، وانقضاضاً عليها من جانب، بينما كان استسلاماً من أي مجتمع إسلامي، تعرض للتربص والانقضاض، وقبولا للوصاية الأجنبية والاستغلال الأوربي من جانب آخر (٤٠). ومما هو مسجل في صفحات التاريخ: أن المجتمع الإسلامي وقع فريسة للاستعمار، فقد احتلت

بريطانيا: الهند في سنة ١٨٥٩م ومناطق الخليج الإسلامي، وجنوب شبه الجزيرة العربية في سنة ١٨٤٩م، ومصر في سنة ١٨٨٢م، والسودان في سنة ١٨٩٨م.

واحتلت فرنسا: الجزائر في سنة ١٨٤٥م، وتونس في سنة ١٨٨١م، والمغرب في سنة ١٩١٢م.

واحتلت إيطاليا: طرابلس الغرب في سنة ١٩١١م.

واحتلت هولندا: جزر الأرخبيل الأندونيسية تباعاً منذ عام ١٩٠٣م.

وروسيا احتلت القرم قبل القرن التاسع عشر في سنة ١٨٧٣م وسيطرت بإشرافها على المجتمعات الإسلامية في وسط آسيا، وهي: أذربيجان، وكازاخستان، وأوزبكستان، ونوركيستان، وكزيخستان .. سطرة تامة في القرن التاسع عشر، ولم يسلم من الاحتلال الأوربي سوي: اليمن، والحجاز، وإيران، ووسط تركيا.(٤١)

ولا يخفى أن وقوع المجتمعات الإسلامية تحت سيطرة الاستعمار زاد من اتساع السوق الاستهلاكية لمنتجات الغرب الصناعية، وهذا أدى إلى تفوق الصناعة الغربية. وكلما قوي المجتمع الأوربي وتفوق صناعياً، كلما زادت رقعة استعماره في قارة إفريقيا وقارة آسيا.

وكلما زادت قبضة أوربا على ما تم استعماره، وكلما اتسع نفوذها السياسي والاستغلالي، كلما زاد ضعف المجتمع الإسلامي الذي وقع تحت سلطة الاستعمار، وزادت تبعيته وتقبله لما يأتي من الغرب.

يوم أن تحرك المجتمع الأوربي لاستعمار المجتمعات الإسلامية، كان في قمة مجده، بما أنجزه من الفصل بين الكنيسة والدولة، واستقلاله بالسلطة الزمنية، وبالحرية الفردية، في التفكير، والتوجيه، وبالحرية السياسية، كما كان في أشد الأوضاع حرصاً على اتجاه (العلمانية) كمثال للإنسانية.

اسطحب الاستعمار معه هذا الاتجاه بما يستتبعه في الحكم، والتوجيه، والتشريع، والاقتصاد، في المجتمع الإسلامي الذي يتمكن منه.

وباستصحاب الاستعمار اتجاه العلمانية، ومحاولة تطبيق هذا الاتجاه، في المجتمع الإسلامي، وهو مجتمع يغاير في خصائصه، وتاريخه، وواقعه .. المجتمع الأوربي، اضطر هذا الاستعمار إلى أن يسلك طريقاً يمكنه من هذا التطبيق، وهو طريق عزل المجتمع الإسلامي كلية عن ماضيه، وعن تراثه العقلي، والروحي، والتوجيهي، والسلوكي.

فإذا ما تم عزله أصبحت قيادته ميسرة، وطيعة للمستعمر، وبالأخص للأجيال التي تنشأ في ظل هذه العزلة. (٤٢)

ثالثاً: تقدم الغرب العلمي:

لقد كان الغرب يملك تقدماً علمياً فائقاً، وتقدماً مادياً هائلاً، وعبقرية تنظيمية مبدعة، وروحاً من الجلد والصبر على العمل والإنتاج، وروحاً عملية في مواجهة المشكلات سواء من ناحية الدراسة أو من ناحية التنفيذ. (٤٣)

ولا شك أن التقدم العلمي المذهل للغرب، كان قوياً دفاقاً،

له من القوة والانتشار والاستيلاء، ما بهر العقول، وفتن الألباب، ولا غرو فقد بز بذلك كلّ تقدم علمي عرفه العالم، وسمعت عنه البشرية في التاريخ المترامي الأطراف، واستطاع أن يخرج من الأسرار، ويكشف من الاختراعات، ما جعل أبصار الناس وعقولهم تتعلق به (٤٤)، وخاصة أن هذا العلم أصبح في خدمة الإنسان، في كثير من مناحيه، فاتجهت الأنظار، والعقول، والقلوب إلى الغرب، تتطلع إلى ما فيه من اكتشافات تأتي بجديد. (٤٥)

لقد واجه العالم الإسلامي مشكلة تقدم الغرب العلمي، وجهاً لوجه، وهذا التحدي السافر على طريق واحد. وهو صاحب الحضارة العريقة، والرسالة الدينية الخاتمة، وصاحب الوصاية على البشرية، بعد ما انسحبت كل الديانات والمذاهب القديمة، متوارية من نوره الوهاج، وحجته المشرقة، وصاحب الرقعة الواسعة، والثقافة المنتشرة، والقوة الكبرى التي كان يحسب لها ألف حساب. فكان تحدي الحضارة المادية الآلية للعالم الإسلامي أعظم من تحديها لأي أمة، ولأي حضارة، ولأي ثقافة، وقد صاحب تلك الحضارة مذاهب فكرية، وفلسفات مادية، ونظم سياسية، واقتصادية، وعمرانية، واجتماعية، وخلقية، وكان لا بد أن ينظر الناس - وخاصة الشعوب المتخلفة - إلى هذه المذاهب، والفلسفات، والنظم نظرة تقدير واحترام، لأنها نتاج تلك الشعوب المتقدمة، وحصاد تلك الأمم المتطورة التي فتتت الذرة، وصنعت الطائرة والصاروخ، وأدارت الأقمار (٤٦)، وغزت الفضاء، لتراقب سلوكيات الإنسانية كلها - وخاصة

تحركات المجتمعات الإسلامية - ولتكتشف من الفضاء الواسع، ما يزيدها من العلم تمكيناً وأصبحت المجتمعات الإسلامية تمجد الحضارة الأوربية، والتقدم العلمي والصناعي، واستطاع الغرب أن ينقل الانتاج المادي إلى المجتمعات الإسلامية، في إفريقيا وفي آسيا، لاستخدام هذا الإنتاج في تيسير الحياة، والتغلب على صعوبات المشاق التي تصحب عادة الحياة الإنسانية المتخلفة، أو البدائية، وذلك ليكون شواهد مادية، ترى وتختبر في التطبيق وفي واقع الحياة. (٤٧)

رابعا: الضعف الفكري، والتفكك الاجتماعي:

لقد أصيب المجتمع الإسلامي بالضعف الفكري، والتفكك الاجتماعي، وذاق من جراء تلك الإصابة مرارة التأخر، والضعف الفكري ما أصيبت به أمة من الأمم، أو مجتمع من المجتمعات، إلا كانت الحالة، انحطاطاً في التفكير، واهتماماً بالخرافات والأساطير.

والتفكك الاجتماعي نتيجة حتمية للضعف الفكري، لأن الضعف الفكري لا يكشف للإنسان مخاطر الانزلاق في الهاوية، ولهذا نجد أن المجتمعات الإسلامية ابتليت بالطوائف المتعددة والمتناحرة، والمذهبية التعصبية، وتعدد السلطنات والدويلات التي قامت على أساس شعوبي أو مذهبي، في هذا المجتمع أو ذاك.

وهذا كله جر المجتمع الإسلامي إلى فوضى قاتلة، وتناحر حقيقي، وسلب ونهب وقتل دون رادع أو وازع . . ومجتمعاً كهذا لا بد وأن يتعرض لسيطرة المتربصين به. لقد كانت السلطة السياسية

في المجتمعات الإسلامية تعيش في وضع مقلوب «وفي ذلك الوضع لا بد أن تكتمل الصورة المقيته لأي امبراطورية على وشك السقوط، بغض النظر عن اللافتة التي ترفعها، سواء كانت امبراطورية فارسية، أو بيزنطية، أو رومانية، أو عباسية. لابد أن تتفشى الرشوة، وتكثر مصادرة الأموال، وتتفاقم الاضطرابات الداخلية، مع الانحلال الخلقي، والإنشغال بالتوافه عن الخطر الذي يدق الأبواب. (٤٨)

وأساس انهيار الأمم يبدأ من الداخل، وقد يأتي تدخل خارجي ليعجل بالسقوط. ولكن يظل الانهيار الداخلي هو بداية النهاية وعاملها الأكبر، ويأتي الإنهيار الداخلي حين تتكون طبقة مترفة تتحكم في الثروة، وفي الجماهير، فتنتشر الظلم، والانحلال، وتحيل حياة الأكثرية إلي جحيم تهون فيه الحياة. (٤٩)

لا شك أن الأمة الإسلامية عاشت فترات من حياتها، كانت سبباً في تأخرها وغفلتها وطمع الطامعين في مجتمعاتها.

وأي أمة تضعف في أفكارها، ولا تعرف إلا القشور من أمرها، وتعيش في تناحر وتمزق لابد وأن تسقط، وينال منها من كان يهابها.

خامسا: تخلف الشعوب الإسلامية عن ركب الحضارة:

أن المجتمعات الإسلامية، حين أصابها الضعف الفكري، والتفكك الاجتماعي، انشغلت بالتافه من الأمور، فقادتها التفاهة إلى التخلف عن ركب العلم، والتقدم، والحضارة .. ومعنى هذا، أن المجتمعات الإسلامية انصرفت عن تعاليم الإسلام التي

تدعو إلى العلم، والمعرفة، واستعمال العقل، والفكر، في كل ما من شـأنه أن يأخـذ بالناس إلى الطريق السليم «وواكب هذا الانصـراف انحطاط في القيم، ودعوات إلى الركون إلى المتع والعبث بالأموال، إلى حد السفه والجنون، والترف والفجور حتى كان قواد هذا الركب في كل ناد، وكل صحيفة، مع جهل ضارب، ونفاق ناشب أظفاره، وفساد في كل مجتمع وناد، وتصارع على كل تافه وخسيس من المادة، وخراب للذمم، وبيع للشرف، وكره للقيم، وضياع للحق، وهضم للحقوق وذبح للفضيلة». (٥٠)

وكان وضع البلاد الإسلامية كما صوره شاعر تركيا الإسلامي الكبير محمد عاكف: « يسألني الناس أنك كنت في الشرق مدة طويلة. فما الذي شهدت ياتري، وما عسى أن يكون جوابي؟ أنني أقول لهم: إنني رأيت الشرق من أقصاه، فما رأيت إلا قرى مقفرة، وشعوباً لا راعي لها، وجسوراً متهدمة، وأنهاراً معطلة، وشوارع موحشة، رأيت وجوهاً هزيلة متجعدة، وظهوراً منحنية، ورؤوساً فارغة، وقلوباً جامدة، وعقولاً منحرفة.

رأيت الظلم، والعبودية، والبؤس، والشقاء، والرياء، والفواحش المنكرة المكروهة، والأمراض الفاشية الكثيرة، والغابات المحرقة، والمواقد المنطفئة الباردة، والحقول السبخة القاحلة، والصور المقززة، والأيادي المعطلة، والأرجل المشلولة.

رأيت أئمة لا تابع لهم، ورأيت أخا يعادي أخاه، ورأيت نهّاراً لا غاية له، ولا هدف، ورأيت ليالي حالكة طويلة، لا يعقبها صباح مسفر، ونهار مشرق. (٥١)

هذا التخلف أضعف الثقة بالنفس، وأوقف عجلة التقدم

والإنطلاق في الشعوب الإسلامية، وجعلها تعتمد في كل شيء على غيرها، إن التخلف العقلي لا يكمن في عدم الذهاب إلى الجامعات، واكتساب المعارف فقط، بقدر ما يكمن في التبلد، والخمول، والنوم، والرضاء بالدون، وموت الهمة. (٥٢)

ومن المؤكد أن الأمة التي تفضل أو ترضى بالتواكل، والاستجداء، والكسل، والتبعية، أو لا تستحق الحياة الكريمة، والحياة الحرة الكريمة لا تتأتى لأمة دون ثمن، والثمن هو التضحية، ولا يتأتى لأمة أن تشق طريقها في الحياة، وأن تستعيد وجودها وكرامتها، وتعيد صنع حياتها، دون أن تحاول جاهدة أن تبني نفسها بناءً يتفق مع الاعتداد بالذات.

وقد يكون من المسلمات البديهية: أن ضعف الأمة في جوهره وجذوره، ليس ضعفاً في قوة الدفاع، أو في القوة العسكرية، وإنما يكمن في ذل النفوس، وشعورها بالضعف.

وقد يكون من المسلمات البديهية أيضا: أن فقر الأمة في جوهره وجذوره ليس فقراً في السلاح والمعدات، أو فقراً في المال والامكانات، وإنما يكمن في فقر النفوس وعجزها، وضعف الإرادة واضطرابها. (٥٣)

فالتخلف عن ركب التقدم والحضارة، يعود بالمجتمعات الإسلامية إلى الانحطاط ويقودها طواعية إلى الهلاك كما تقاد الشاة إلى حتفها بظلفها، ولذا كان هذا التخلف عاملاً من عوامل الغزو الفكري الذي اجتاح البلاد والعباد.

سادسا : الفراغ العقدي :

من المؤكد لدى الباحثين، أن العقيدة هي الأمر الذي تثق به النفس، ويطمئن إليه القلب، ويكون يقيناً عند صاحبه، ولا يمازجه شك فيه، ولا يخالطه ريب. ويذكر القعاد: أننا نعني العقيدة الدينية طريقة حياة، لا طريقة فكر، ولا طريقة دراسة، إنما نعني بها حاجة النفس، كما يحس بها من أحاط بتلك الدراسات، ومن فرغ من العلم والمراجعة، ليترقب مكان العقيدة من قرارة ضميره، إنما نعني بها ما يملأ النفس لا ما يملأ الرؤوس أو الصفحات. (٥٤)

إن العقيدة التي صح أن توصف بالعقيدة الدينية، هي التي لا يستغني عنها من وجدها، ولا يطيق الفراغ منها من فقدها، ولا يرفضها من اعتصم منها، بمعتصم، واستقر فيها على قرار. (٥٥)

ومن يتأمل العقيدة الإسلامية، ويتدبر ما جاءت به من مفاهيم، تناولت معضلات الحياة، إن من يتأمل ذلك يحس بالاطمئنان، ويتخلص من الحيرة التي تواجه كثيراً من المفكرين. (٥٦)

والحقيقة التي أثبتتها مئات السنين الحافلة بالأحداث، والخطوب، والمحن، حقيقة أن العقيدة الإسلامية هي العقيدة الشاملة، والعقيدة المثلى للإنسان، والمجتمع، رعاية للروح والجسد، وعمل للدنيا والآخرة، وجهاد في السلم والحرب، وتنظيم للعلاقات والصلات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والأمم.

فالعقيدة ضرورة لا غنى عنها للفرد والجماعة .. ضرورة

للفرد ليطمئن ويسعد، وتطهر نفسه . . وضرورة للمجتمع ليستقر ويتماسك، ويترفع وينهض.

فالفرد بغير عقيدة كالريشة في مهب الريح، تحوله يميناً وشمالاً فلا يسكن له حال، ولا يستقر له قرار، وليس له جذور تثبته. (٥٧)

والعقائد في الأمم تقف سدوداً بينها وبين الأفكار الوافدة، أو المذاهب المقتحمة، وتعطي أعماقاً للصروح والمجتمعات والأفراد، كما تمنح استقراراً وثباتاً للإنسان في الحياة. أما إذا تركت الأمم عقائدها، وتخلفت عن غذائها الروحي، وعن عمقها الإيماني (٥٨) فإنها تصبح فريسة لمن هب ودب.

والباحث في أحوال الشعوب الإسلامية: يجد أنها لم تحسن التخطيط، ولم تستفيد من الدروس، فانطلقت في سبيل الشهوات والملذات، والطوائف، والاختلاف، وتركت تعاليم الإسلام التي تدعو إلى الفكر، والعلم، والحضارة . . فكان ما كان.

لقد اتضح لنا أن «الغزو الفكري» الذي تعرضت له شعوب الأمة الإسلامية ولا زالت تتعرض، قام على أسباب وبواعث، دفعت بالغزو الفكري إلى تكالب مسعور، وكان في الإمكان أن ترد الهجمة الشرسة، ولكن كانت هناك عوامل تنتشر في المجتمعات الإسلامية، ساعدت على توغل الغزو الفكري، وانتشاره بين الناس.

وقد سبق أن - ذكرنا-أن من عوامل وأسباب الغزو الفكري:

* العداء الصليبي للإسلام والمسلمين.
* الاستعمار الغربي الذي أصاب بعض المجتمعات الإسلامية.

* تقدم الغرب العلمي.
* الضعف الفكري والتفكك الاجتماعي الذي أصاب المسلمين
* الفراغ العقدي الذي دلت عليه سلوكيات المسلمين.

وقد تكون هناك أسباب أخرى : داخلية أو خارجية، عملت على تمزيق الأمة الإسلامية وقتل روح الأصالة فيها والتجديد، والقدرة على مواجهة التحدي.

ولا يخفى أن التعرف على الأسباب، قد يدفع بالعلماء، وقادة الفكر إلي تشخيص الداء، وبذل الدواء، وإذا عرف التحدي أمكنت المواجهة، وإذا كانت معرفة أسباب الغزو الفكري، تقف بالمسلمين على محطات إنطلاق، فإن معرفة مظاهر الغزو الفكري، تساعد على التبصر بالمواقع والمواقف.

مظاهر الغزو الفكري

مظاهر الغزو الفكري كثيرة ومتعددة، وتكاد تشمل جميع جوانب الحياة، وهذه المظاهر لم تكن إلا بناء على دراسات دقيقة لأحوال المجتمعات الإسلامية.

لقد خطط أعداء الأمة الإسلامية، وتدارسوا الأمر فيما بينهم، ووضعوا مخططات تنفذ بكل دقة، وتوالت مظاهر الغزو الفكري تنتشر بين المسلمين، يساعد على ذلك أمران:

الأمر الأول: موالاة بعض حكام المسلمين للغرب.

والأمر الثاني: الدعاية للنظم الغربية والتغرير بها.

ولولا هذه المساعدة لكان من الصعب على مظاهر الغزو الفكري أن يستشري خطرها، وقد نجح الغزو الفكري في إعداد بعض «كوادر» تتولى القيادة، وإدارة أمور المجتمعات. وكانت الدعاية للنظم الغربية والتغرير بها، تدفع الناس إلى قبول ما يأتي من الغرب - أياً كان.

ومظاهر الغزو الفكري يلمسها المراقب والباحث في كثير من القضايا مثل:

١) حملات التشويه.
٢) إحياء النزعات الجاهلية.
٣) إبعاد العلماء عن مراكز التوجيه والسلطة.
٤) التعليم والثقافة.
٥) الخدمات الاجتماعية.

أولاً : حملات التوشيه :

فإذا ما بحثنا في حملات التشويه - والتي كانت مظهراً من مظاهر الغزو الفكري - وجدنا أن هذه الحملات، مست كل ما يتصل بالإسلام من عقائد، ونظم وتراث، وتاريخ ، وفكر، وحياة.

١) فهناك محاولة تشويه عقائد المسلمين، بغير سند ولا دليل. يقول رينان الفرنسي يصور عقيدة التوحيد في الإسلام « بأنها عقيدة تؤدي إلى حيرة المسلم، كما تحط به كإنسان إلى أسفل الدرك». (٥٩)

ودائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الجديدة التي لم تترجم إلى اللغة العربية، تعرض تحت مادة «ابن تيمية» أن ابن تيمية كان مسرفاً في القول بالتجسيد، ومن ثم كان يفسر كل الآيات والأحاديث التي تشير إلى الله بظاهر اللفظ، وقد تشبع بهذه العقيدة إلى درجة أن ابن بطوطة يروي عنه، أنه قال من منبر جامع دمشق: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا، ثم نزل درجة من درج المنبر». (٦٠)

٢) وهناك محاولة تشويه القرآن الكريم، وهي محاولة قديمة وحديثة، وهذه المحاولة كغيرها بعيدة عن العلم والمنطق. يقول المستشرق جب: «إن محمداً قد تأثر بالبيئة التي عاش فيها، وشق طريقه بين الأفكار والعقائد الشائعة في بيئته فالقرآن من صنع محمد ﷺ ومن ملاءمات هذه البيئة التي عاش فيها». (٦١)

٣) وهناك محاولة تشويه السنة النبوية، وهي محاولات ضارية

عـمـيـقـة الجـذور في تاريخ الحـرب ضـد الإسـلام، وهي محاولات تستهدف ما تستهدفه محاولات تشويه القرآن الكريم، من عـزل المسلمين عن دينهم، بتـشـويه مـصـدريه الأسـاسـيين: القـرآن والسنة . . وهي حـرب دخلت على المسلمين حديثاً عن طريق الغـزو الفكري، وقـد جند أعـداء الإسـلام لتـشـويه السنة مـا جندوا من أقـلام، وكـتب، ومجلات، وبحوث، ومجمل محاولات الأعداء:

* الادعاء بأن هناك أحاديث لا يمكن أن تكون قد صدرت عن النبيﷺ .
* والادعاء بأن محاولة وجود شيء في الحديث النبوي يمكن القطع بصحة نسبته إلى النبي ﷺ تاريخياً، محاولة فاشلة.
* الادعاء بأن الفرق الإسلامية عندما اختلفت في الآراء، أخذ كل منها يضع لنفسه الأحاديث التي يؤيد بها رأيه.
* الادعاء بأن الأحاديث النبوية ليست إلا سجلاً للجدل الديني في القرون الأولى. (٦٢)

٤) وهناك محاولة تشويه شخصية الرسول محمد ﷺ ، وهي محاولات قديمة وحديثة ومستمرة، تهاجم رسول الله ﷺ ، وتحاول أن تنال من شخصه، ومن هؤلاء الأعداء الحاقدين على الإسلام الذين تطاولوا على شخصية الرسول الصادق الأمين :

* وليم موير في كتابه : «حياة محمد».
* هنري لامنس اليسوعي في كتابه: « الإسـلام» وقد بلغ

من حقد هذا الرجل على الإسلام أن تخبط فيما يكتب إلى الحد الذي أزعج بعض المستشرقين أنفسهم.

* الفرد جيوم في كتابه: «الإسلام».
* صمويل زويمر في كتابه: «الإسلام تحد لعقيدة».
* كنبشكراج في كتابة: « دعوة المئذنة».
* ا. ج. أربري. في كتابه: «الإسلام اليوم».
* جولد زيهر. في كتابه: «تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي».
* هـ. أ. جب: في كتبه:
  - طريق الإسلام.
  - الاتجاهات الحديثة في الإسلام.
  - المذهب المحمدي.
  - الإسلام والمجتمع الغربي.
* أ. ج. فينسنك. في كتابه: «المستشرقون والإسلام».
* د. س. مرجليوث. في كتبه:
  - محمد ومطلع الإسلام.
  - التطورات المبكرة في الإسلام.
  - الجامعة الإسلامية.
  - قنطرة إلى الإسلام.
* ج. فون. جرونبام. في كتبه:
  - إسلام العصور الوسطى.
  - الإسلام.
  - الأعياد المحمدية.

- الوحدة والتنوع والحضارة الإسلامية.
- دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية.

* د. ب. ماكدونلد. في كتابه: «تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام».
* ر. ا. نيكلسون. في كتابه: «متصوفو الإسلام».
* ر. بل. في كتابيه:
  - أصول الإسلام في بيئته المسيحية.
  - مقدمة القرآن.
* آثر جيفري. في كتابه: «مصادر تاريخ القرآن».
* يوسف شاخت. في كتابه: «أصول الفقه الإسلامي».
* ارنولد توينبي. في كتابه: «دراسة في التاريخ».
* فيليب حتى، وهو مسيحي لبناني. في كتابه: «تاريخ العرب».
* مجيد خوري، وهو مسيحي عراقي. في كتابه: «الحرب والسلام في الإسلام».
* ابراهام كاش. في كتابه: «اليهودية في الإسلام».
* ادوارد فرمان. في كتابه: «تاريخ المسلمين وفتوحاتهم».
* ج. س. آرثر. في كتابه: «العناصر الصوفية في محمد».
* د. بلاشير. في كتابه: «مقدمة القرآن».
* سنوك هورج رونجد. في كتابه: «الإسلام». (٦٣)

وغير هؤلاء كثير.. وما أردنا الإحصاء أو الاستقصاء.. وكل هؤلاء حاولوا تشويه الإسلام، ونالوا من شخص الرسول ﷺ فيما كتبوا، وافتاتوا على الحق،

وموهوا، وملأوا الدنيا ضجيجاً بأصوات الباطل، وهراء الجاهلين، وسموم الحاقدين. (٦٤)

٥) وهناك محاولة تشويه التاريخ الإسلامي، وهذه المحاولة من أخبث المحاولات وأكثرها خبثاً ومكراً. فقد صور هؤلاء الحاقدون على الإسلام والمسلمين، أن الفتوحات الإسلامية فتوحات غزو واستعمار، وإن الخلافة الإسلامية خلافة تآمر وسفك للدماء، وغير ذلك كثير مما لا يقره عقل ولا دين.

٦) وهناك محاولة تشويه التراث الإسلامي، ولا يخفى أن تشويه تراث الأمة، هو تشويه للأصالة التي تنطلق منها. وتراث المسلمين تعرض لانتهاك هؤلاء الحاقدين على كل ما هو إسلامي، فأصابه ما أصاب غيره من الافتراء والافتئات.

٧) وهناك محاولة تشويه مجال الغيب في الإسلام، وهذه المحاولة أريد منها زعزعة الإيمان بالغيب عند المسلمين، ولذا جاءت المحاولة تشكك في كل ما لا تدركه الحواس وتفسر الجزاء عند المصدقين به . . بأنه جزاء روحي، والجنة والنار بأنها شعور نفسي.

٩) وهناك محاولة تشويه نظام الحياة الإسلامية، وذلك بالادعاء بأنه لا يوجد نظام للحياة معروف في الإسلام، والتهم التي وجهت إلى نظام الحياة الإسلامية كثيرة، ولكن أبرزها وأخطرها:

- اتهامهم للقوانين والنظم الإسلامية بالرجعية وعدم القدرة على مواكبة ركب التحضر والتقدم. (٦٥)
- اتهامهم النظم الإسلامية بالمحلية والقصور والإقليمية.

- اتهامهم لها بأنها عند التطبيق والتنفيذ، تعتمد على وحشية أو همجية أو قسوة وبخاصة فيما يتصل بالرجم والقطع والجلد.
- اتهامهم للقوانين والنظم الإسلامية بأنها لم تحظ بإجماع المسلمين عليها، في عصر من العصور.
- اتهامهم لها بأنها تتجاهل الأقليات غير الإسلامية في ظل الدولة الإسلامية.

وهذه التهم قد أطلقها أعداء الإسلام من غير المسلمين، وشاركهم في إطلاقها بعض المسلمين المخدوعين بالفكر الغربي.

١٠) وهناك محاولات تشويهية أخرى، تتصل بجوانب من الإسلام، إن هذه المحاولات في مجموعها تشكل انقضاضاً على مباديء الإسلام وتعاليمه.

ثانيا: إحياء النزعات الجاهلية:

التي لا تتفق مع تعاليم الإسلام كالدعوة إلى القومية، والدعوة إلى الفرعونية، والآشورية، والفينيقية، وما جرى مجرى هذا. مما يتنافى مع الإسلام.

ثالثا: الدعوة إلى التحلل والإباحية:

وهذه دعوة خبيثة لأنها تطعن الأمة في أخلاقها وقيمها، وقد شاعت في المجتمعات الإسلامية أمور تعافها الفطر السليمة. ولكنه الانحراف الذي لا يعترف بالقيم الفاضلة.

رابعا: إبعاد العلماء عن مراكز التوجيه والسلطة:

ولا يخفى أن إبعاد العلماء عن المراكز التوجيهية أمر له

خطورته، وفي بعض المجتمعات تقلص دور العلماء، وأصبح قاصراً على خطبة الجمعة، وبعض الأحاديث التي تخضع للعيون الساهرة والمراقبة الدقيقة، وأصبح بعض العلماء يجرون وراء المناصب جرياً، تذل له الجباه، ويطلبون المناصب بما لهم من مآثر في الاتباع، وآياد في التصفيق والتأييد.

خامسا: التعليم والثقافة:

ولا يخفى أن الغزو الفكري، ينتشر من خلال مدارس التعليم ومعاهده وجامعاته أفضل من أي مظهر آخر.

وقد دخل الغزو الفكري إلى العالم الإسلامي، من باب يخيل إلى السطحيين من الناس أنه الباب الطبيعي. إذ حمل اسم العلم والمعرفة والتمدن. يقول القس زويمر: «المدارس أحسن ما يعول عليه المبشرون في التحكك بالمسلمين». (٦٦)

ومن المعروف أن المسلمين أقبلوا على هذه المدارس بكثرة كاثرة، يزدرون مناهجها، ويلتهمون كل ما احتجنته من عقيدة وفكر، لا يميزون صحيحها من فاسدها، ونفعها من ضرها. (٦٧)

وبما أن الثقافة ليست علوماً ومعارف وأدباً وفنوناً فحسب، بل مناهج فكر وخلق تصطبغ حياة الأمة بصبغتها في شتى ضروب نشاطها، فإن «الغزو الفكري» استطاع من خلال الثقافة، أن يلقي بمزيج من الأخلاط الغربية الملتمسة من الفكر الغريب المنحرف، والتوجيه الفاسد، والقائم على

التخطيط الشرير (٦٨). ولذا قام الغزو الفكري بالدعوة إلى الأغراض الآتية:

١) الدعوة إلى إضعاف العلاقة بين المسلمين بقطع الروابط الثقافية وإحياء الثقافات الجاهلية.

٢) الدعوة إلي العامية، وإلى تطوير اللغة.

٣) إيجاد الشعور بالتبعية الثقافية، والشعور بمركب النقص.

٤) دفع الجامعات إلى الاعتماد على كتب المستشرقين العلمية.

٥) توهين جهود المخلصين الثقافية والابداعية.

٧) لفت المجتمعات إلى القشور، وإلهائها عما يفيد وينفع.

٨) إحياء المذاهب الفلسفية والجدلية، والبعد عن الأساليب العلمية.

٩) إنشاء الموسوعات التاريخية الإسلامية، وبذر الشكوك ولي الحقائق فيها.

١٠) الحرص على تكوين جيل مثقف يحمل راية الاستشراق والدعوة. (٦٩)

١١) الدعوة إلى تدريس العلوم الطبية وغيرها بلغات غير اللغة العربية، ليظل المسلم عنده إحساس بعجز اللغة العربية لغة القرآن.

سادسا: الخدمات الاجتماعية:

والخدمات الاجتماعية مظهر من مظاهر الغزو الفكري، وقد وجد المخططون لغزو العالم الإسلامي، أن الخدمات الاجتماعية طريق يساعد على إمرار ما يراد إمراره، من خلال الخدمات الاجتماعية، ولذلك أصبحت الملاجيء،

والمستشفيات، والمستوصفات، والجمعيات الخيرية، ووكالات الإغاثة، ودور الأيتام، والمسنين، وغيرها . . مراكز غزو !!.

ومما يلاحظ أن الغزو الفكري لم يقتصر على المظاهر التي ذكرنا بعضا منها، وإنما كانت هناك خطوات أخرى، محسوبة ومعتددة، على كافة الجهات والطرق، ومن هذه المخططات:

١) الارساليات التبشيرية التي قل أن يخلو مجتمع إسلامي منها.
٢) الاعداد الصهيوني والتنسيق بينه وبين الفكر الغربي.
٣) التصنيف والتأليف في المباحث الإسلامية واستغلال قصور المسلمين فيها.
٤) القاء المحاضرات في الجامعات أو الجمعيات الإسلامية.
٥) إنشاء دوائر المعارف الإسلامية، والمعاجم المختلفة . . وغيرها.
٦) استغلال البعثات العلمية والثقافية.
٧) الامتيازات الأجنبية والحصانات الدبلوماسية واستغلالها.
٨) استغلال الأقليات والطوائف والنعرات.
٩) التعاون بين التبشير والسياسة.
١٠) استغلال الحركات الوطنية، والتطلعات السياسية.
١١) استغلال فقر الشعوب وحاجتها وعريها وربط الإحسان بالتبشير.
١٢) استغلال العواطف والجوع الجنسي واستخدامه في خدمة الأهداف.
١٣) الرحلات وجمعيات الصداقة والدعوة إلى العالمية، والمجتمعات الكشفية.
١٤) المساعدات الاقتصادية، وربطها بتسهيلات وتنازلات معينة.
١٥) الدعوة إلى الحوار الحر، مع نبذ العقائد والأفكار، والتجرد للوصول إلى الحقيقة (٧٠) في زعم هؤلاء.

ومما لا يخفى على باحث أو دارس، أن الغزو الفكري لكي يحقق أهدافه من إبعاد الأمة الإسلامية عن أصالتها، وآدابها، اتخذ له منافذ متعددة، وتيارات مختلفة، قد تبدو متباينة، ولكنها تلتقي جميعها في محاربة الإسلام والمسلمين، ومن هذه التيارات والحركات:

- الاستشراق - التبشير - الصهيونية
- الماسونية - أندية الروتاري - العلمانية
- القوميات - التغريب - الوجودية(٧١)
- الفوضوية - القاديانية - البابية والبهائية

وغير ذلك . .

إن هذه التيارات والحركات صنعها الغزو الفكري ليمر من خلالها إلى الشعوب الإسلامية، وقد استطاعت هذه التيارات أن تثبت أقدامها، وتوطد علائقها، وتقيم معاهدها ومدارسها.

وهناك مجتمعات إسلامية - جميع أبنائها مسلمين - بدت فيها ظاهرة لا يتنبه لها إلا أولئك الباحثون - أمثالي - وما أخطر هذه الظاهرة. ظاهرة انتشار صورة الصليب في أشكال قد لا تلفت النظر لأول وهلة. فقد يكون الصليب داخل مربع يضيء ليلاً أعلى قمة محل تجاري. وقد يكون الصليب داخل إطار دائري، تتزين به حجر الاستقبال.

قلت لصديقي الذي تتزين حجرة جلوسه بثلاث من هذه الدوائر: ما هذا؟ قال: لا أدري - والله - إنها أدوات زينة.

وقد يكون الصليب داخل إطار كتابي «شعاراً» لأحد

الشركات الكبري .

وفي بعض المجتمعات الإسلامية ، لا يستطيع أحد أن يشير إلى أي ظاهرة من ظواهر الغزو الفكري في المجتمع بأي إشارة كانت .

وهكذا تعيش بعض المجتمعات الإسلامية في ظواهر الغزو الفكري ، ولا أحد يرى ، ولا أحد يتكلم ، ولا أحد يسمع .

لقد نجحت الحملات التي قامت بها مؤسسات الغزو الفكري الغربي في تحقيق أغراضها نجاحاً بعيداً ، حين ضمت إليها فئات مثقفة من المسلمين ، وجعلتها في صفها تحارب الإسلام وثقافته ، وأكثر من هذا . أن هؤلاء المثقفين صاروا يستنكرون الثقافة الإسلامية إذا تناقضت مع الثقافة الغربية . وصاروا يستمرئون الثقافة الغربية ويتعشقونها ، ويتجهون في الحياة طبق مفاهيمها . (٧٢)

لقد أقبل الكثير من المسلمين على ثقافة الغرب يدرسونها ويطبقونها ويتسابقون في الأخذ بها . واستجاب المسلمون إلى الدعوات العنصرية حتى صارت على لسان الكثيرين . وحتى صارت الأقليمية الضيقة هي المرتكز لأي عمل في أي اتجاه سياسياً كان أم اقتصادياً أم فكرياً . إن هناك حرباً تشن على العقائد الموروثة ، وعلى المسلمات التي تتصل بالوحي والبعث . وهناك فلسفات مطروحة ترمي إلى إلغاء القيم الثوابت ، وإقامة التطور المطلق ، وتجاوز الروح وإقامة المادة وحدها ، وإلغاء الضوابط الأخلاقية والمسئولية الفردية ودعوة إلى رفع الوصاية عن الشباب ، بل هناك دعوة صريحة أعلنت خطتها باخراج العرب والمسلمين من إطارات الدين ، ودعوتهم إلى علمنة الذات العربية . وهناك

دعـوات إلى إعـادة طرح الأسـاطيـر، والإباحـيـات في أفق الفكر الإسـلامي عن طريق القـصـة، والمسـرح، والصـحـافـة، وهناك دعوات تزين الباطل وتزخرفه ودعوات تحول الشر إلى صور براقة زاهية. (٧٣)

لا يمكن أن يتصور عاقل: أن الحرب بين الإسلام وأعدائه قد وضعت أوزارها. ولا يمكن أن يتصور عاقل أن أعداء الإسلام قد سكتوا عن الإسلام بعد أن تحالفوا ضد أهل الإسلام فغلبوهم وجعلوا منهم أمماً وفرقا بعد أن كانوا أمةواحدة. ولا زال أعداء الإسلام يدبرون لحربه كل يوم وسيلة. ويحشدون للوقوف في وجهه كل يوم قوة، وليس خطر الكلمة والفكرة بأقل من خطر الجندي والسلاح في المعركة الضارية التي يشنها أعداء الإسلام على الإسلام وأهله.

إن هؤلاء الأعداء قد سكتوا عن حرب الجنود والأسلحة، ليشنوا حرب التشويه والتخريب للإسلام: منهجه وتاريخه ورجاله وتراثه ولغته وقرآنه. وتحالفوا وتآزروا وابتكروا أحدث الوسائل، وخبث التيارات والأساليب. فغزوا المسلمين في قلوبهم وأفكارهم، وأخلاقهم، وأزيائهم. وشنوا على العالم الإسلامي من الغارات ما لا يخفي أمره. (٧٤)

وإن أخص صفات عصرنا، هي أنه ينتج من الأفكار، بقدر ما ينتج من الأشياء، وليس من الضروري أن نتطلب من الأفكار المنتجة، أن تكون نافعة دائماً كالأشياء، فإن المجتمعات التي تصدر إلينا أشياء الحضارة، ترى في الأفكار سلعة، ينبغي أن تتغير كل يوم، كما تتغير طرز الأشياء، ولذلك يقف مثقفونا مبهورين أمام موجات الفكر الوارد من الخارج، ماذا يأخذون وماذا يدعون. بل قل: ماذا يقرءون، وماذا يترجمون؟ ولا شيء أكثر من هذا.

يكفيهم أن يستطيعوا ملاحقة الأفكار، دون أن يكون عليهم أن يواجهوها أو ينقدوها فهم إلى أن يصوغوا نقداً معيناً لأحد الاتجاهات الجديدة نسبياً، يكون الوقت قد فات. وتقادم بمرور الزمن ما ينقدون. وغطت عليه أفكار أخرى أشد لمعاناً، وأكثر جاذبية وإشعاعاً.

ومما لا شك فيه أن العالم الإسلامي هدف ثمين من أهداف تصدير الأفكار، نظراً إلى موقعه وخطورة موقفه، ليبقى هذا العالم مفتقراً إلى الدول المصدرة وليحال بينه وبين أفكاره الأصيلة التي يمكن أن تغنيه عن الاستيراد.

وسوق الأفكار أخطر أسواق المنتجات، وأكثرها تقبلاً للتزييف والإفساد. ومن ثم حفلت أسواقنا بما هو أشد فتكاً من السموم، وأعظم انتشاراً من الهواء. يتخلل كل خلية وينخر في كل بناء. أفكار ترتدي أثواباً، أو تحمل شعارات، أو ترفع مشاعل. ليس الثوب فيها، أو الشعار، أو المشعل، إلا قناعاً يستر الزيف الخطر. (٧٥)

إن هذا الغزو الفكري الذي يجتاح الشعوب الإسلامية يهدف فيما يهدف إلى:

١) أن تظل الشعوب الإسلامية خاضعة لنفوذ القوى المعادية لها.. تلك القوى التي تتمثل في عدد محدود من الدول الكبيرة، التي يحمي بعضها بعضاً، ويتبادل ساستها الدفاع عن المصالح التي تهم أي طرف من أطرافها.

٢) أن تظل بلدان العالم الإسلامي خصوصاً، والعالم النامي عموماً تابعة لتلك الدول الكبيرة المتقدمة، تبعية غير

منظورة، وفي هذه التبعية يكمن دهاء تلك الدول المتبوعة وذكاؤها، فليس أقتل للشعوب من أن تحس بالحرية والاستقلال، بينما هي ترسف في قيود الذل والتبعية. وليس أضيع لمستقبل أمة من الأمم أن تعجز عن أن تخطط لمستقبلها ومصيرها إلا وهي دائرة في فلك دولة كبيرة واهمة ذاهلة عن حقيقة ما تعانيه من تبعية.

٣) أن تتبنى الأمة الإسلامية أفكار أمة أخرى من الأمم الكبيرة دون نظر فاحص، وتأمل دقيق، مما يؤدي إلى ضياع حاضر الأمة الإسلامية في أي قطر من أقطارها، وتبديد لمستقبلها، فضلاً عما في ذلك من صرف عن منهجها وكتابها، وسنة رسولها . . وما يترتب على هذا الصرف من ضياع أي ضياع، إذ لا يوجد مذهب سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي يغني الأمة الإسلامية عن منهجها الإلهي، ونظامها الشامل المتكامل، في كل زمان ومكان.

٤) أن تتخذ الأمة الإسلامية مناهج التربية والتعليم، لدولة من هذه الدول الكبيرة، فتطبقها على أبنائها وأجيالها، فتشوه بذلك فكرهم، وتمسخ عقولهم، وتخرج بهم إلى الحياة، وقد أجادوا بتطبيق هذه المناهج عليهم شيئاً واحداً، هو تبعيتهم لأصحاب تلك المناهج الغازية أولا. ثم يلبس الأمر عليهم بعد ذلك فيحسبون أنهم بذلك على الصواب، ثم يجادلون عما حسبوه صواباً ويدعون إليه، وهم بذلك يؤكدون تبعيتهم من جانب آخر، فيعيشون الحياة وليس لهم منها إلا حظ الاتباع والأذناب.

٥) أن يحول العدو بين الأمة الإسلامية وبين تاريخها وماضيها وسير الصالحين من أسلافها، ليحل محل ذلك تاريخ تلك الدول الكبيرة الغازية، وسير أعلامها وقادتها.

٦) أن تزاحم لغة الغالب لغة المغلوب، فضلاً عن أن تحل محلها أو تحاربها بإحياء اللهجات العامية أو الإقليمية، وما دام الإنسان لا يفكر إلا باللغة فإن إضعاف لغة أمة هو إضعاف لفكرها.

٧) أن تسود الأمة المغزوة أخلاق الأمة الغازية، وعاداتها، وتقاليدها. (٧٦)

٨) تصوير تراث الأمة الإسلامية بصورة التخلف، وعدم قدرته على إمداد الحضارة بشيء مفيد. وأنه لم يكن له فضل على الحضارات التي جاءت بعده.

٩) إحياء الجوانب الضعيفة في التراث الإسلامي خاصة فيما يتعلق بالخلافات السياسية التي وقعت بين المسلمين أنفسهم، والتركيز على دعوات الحركات الباطنية، وإخراجها بصورة جميلة مضيئة، ووصف هذه الدعوات بأنها كانت تحمل فكراً عالياً وفلسفة عميقة. (٧٧)

١٠) اضعاف مثل الإسلام وقيمه العليا من جانب، وإثبات تفوق المثل الغربية وعظمتها من جانب آخر، وإظهار أي دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر.

١١) تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري، بدعوى أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان. ولم يكن العرب والمسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها.

١٢) إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم. (٧٨)
١٣) اقتلاع العقيدة الإسلامية من قلوب المسلمين، وصرفهم عن التمسك بالإسلام نظاماً وسلوكاً.
١٤) تفريغ العقل والقلب من القيم الأساسية، المستمدة من الإيمان بالله، ودفع هذه القلوب عارية أمام عاصفة هوجاء تحمل معها السموم عن طريق الصحافة والمسرح والفيلم والأزياء والملابس.

نقد الغزو الفكري ومواجهته

بعد أن اتضحت لنا أبعاد الغزو الفكري وتياراته، وحركاته، التي تعمل ليل نهار، يبقى أمامنا السؤال الكبير: ماذا فعلنا نحن؟ ما موقفنا من الغزو الفكري؟ إن جزءاً كبيراً من الغزو الفكري، حركة فكرية هائلة، وما تنتجه هذه الحركة، يخصنا نحن المسلمين، ويخص عقيدتنا، ولغتنا، وتراثنا، وتاريخنا، وذاتيتنا.

وإن جزءاً كبيراً آخر من الغزو الفكري، حركة عملية هائلة، تأخذ المواقع، وتسيطر على القلوب.

والغزو الفكري بحركته الفكرية والعملية، من أخطر ما نواجه في حياتنا، لأن ما يقوم به من أهداف تقوض الدعائم يتعلق بأعمق أعماقنا عقدياً، وفكرياً، وحضارياً، وليس هناك أمام المسلمين من سبيل إلا المواجهة وقبول التحدي وإثبات الذات وإلا فلسنا

جديرين بالحياة.

ولا يخفى على أحد أن السعي إلى إثبات الذات، والعمل على مواجهة هذه التحديات والتيارات الغازية دليل صحة، ودليل صحوة . . . . - إذن - لابد من منهج.

والمنهج الصحيح هو أن نواجه الفكر بالفكر، والعمل بالعمل، ولما كان التخطيط الاستشراقي منبعاً لكثير من التيارات. والتحرك التبشيري غزواً عملياً للمجتمعات، كان علينا أن نواجه هذين التيارين في قوة وحزم.

ولا يخفى أن مواجهة تيار الاستشراق، وحركة التبشير. هي مواجهة لكل التيارات والحركات التي نمت وترعرعت في ظل الاستشراق والتبشير.

أولا: مواجهة الفكر الاستشراقي:

قد يكون من البديهيات التي لا تحتاج إلى دليل، ولا تخفى على باحث أو دارس: أن الغرب والشرق، لم يكونا منعزلين عن بعضهما. بل اتصلا ببعضهما اتصالا - أيا كان هذا الاتصال- منذ القدم . . وتاريخ هذا الاتصال حافل بالتفاعلات، والصراعات الثقافية، والسياسية بين هذين العالمين. (٧٩)

فأوروبا اكتشفت الفكر الإسلامي، في مرحلتين من مراحل تاريخها. فكانت مرحلة القرون الوسطى قبل وبعد توماس الأكويني (٨٠). تريد اكتشاف هذا الفكر وترجمته. ومن أجل إثراء ثقافتها بالطريقة التي أتاحت لها فعلا تلك الخطوات التي

هدتها إلى حركة النهضة، منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي. وفي المرحلة العصرية والاستعمارية فإنها تكتشف الفكر الإسلامي مرة أخرى. لا من أجل تعديل ثقافي بل من أجل تعديل سياسي لوضع خططها السياسية، مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية من ناحية، ولتيسير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه السياسات في البلاد الإسلامية. (٨١)

ويذكر المؤرخون للاستشراق أن الجيوش الأوربية الصليبية لما هاجمت بلاد الإسلام كانت مدفوعة إلى ذلك بدافعين:

الدافع الأول: دافع الدين والعصبية العمياء التي أثارها رجال الكنيسة في شعوب أوروبا، مفترين على المسلمين أبشع الافتراءات، محرضين النصارى أشد تحريض على تخليص مهد المسيح من أيدي الكفار - أي المسلمين - فكان جمهرة المقاتلين من جيوش الصليبيين، من هؤلاء الذين أخرجتهم العصبية الدينية من ديارهم عن حسن نية، وقوة عقيدة، إلى حيث يلاقون الموت والقتل والتشريد، حملة بعد حملة، وجيشاً بعد جيش.

والدافع الثاني: دافع سياسي استعماري. فلقد سمع ملوك أوربا بما تتمتع به بلاد المسلمين من حضارة وثروات، فجاءوا يقودون جيوشهم باسم المسيح، وما في نفوسهم إلا الرغبة في الاستعمار والفتح. وشاء الله أن ترتد الحملات الصليبية كلها مدحورة مهزومة. وقد رأى الصليبيون بعد الاخفاق عسكريا، أن يتجهوا إلى دراسة شئون المسلمين وعقائدهم. تمهيداً لغزوهم ثقافيا وفكريا. ومن هنا كانت النواة الأولى لجمعيات المستشرقين. (٨٢)

فالاستشراق يمثل ظاهرة بارزة، من مظاهر تلك التفاعلات،

والصراعات، التي قامت بين الشرق والغرب. ويمكن النظر إلى الاستشراق على أنه فرع من فروع المعرفة في الثقافة الغربية. موضوعه : الشرق. وكلمة مستشرق تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق ولغاته وآدابه وحضارته وأديانه. والاستشراق بهذا المعنى مفهوم أكاديمي، وقد نشأ هذا المفهوم في أوساط جامعية، ولا زال يستخدم في أوساط أكاديمية. فالمستشرق هو من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو بحثه. (٨٣)

ولقد كان الهدف الرئيسي من إنشاء مؤسسات الاستشراق هو تزويد المنصرين بمعارف واسعة ومتنوعة حول الإسلام وأهله، كي يتسللوا بعد ذلك إلى الدوائر العلمية الإسلامية من مدارس، ومعاهد، وجامعات. ليعيثوا فيها فساداً، بجانب تصيدهم لأبناء الدول الإسلامية وإلحاقهم بهذه المؤسسات، والإشراف على تعليمهم وتوجيههم . (٨٤)

ومفهوم الاستشراق قد مر بمراحل مختلفة، تأثر خلالها بعوامل وقوى دينية وثقافية وسياسية مختلفة. ويمكن تقسيم هذه المراحل إلى ثلاث مراحل متميزة:

المرحلة الأولى :

وتمتد من بداية الاستشراق حتى بداية عصر النهضة الأوربية، ولقد تطور الاستشراق في المرحلة الأولى من كتابات فردية غير منظمة، حتى أصبح بحثا منظما ورسميا. بمعنى أنه أصبح يتم في مؤسسات رسمية، وتحت إشرافها، وهي الجامعات. أما من حيث محتواه وخصائصه في هذه المرحلة فقد استم في مجمله بالعداء للإسلام. وساده اتجاه لاهوتي خرافي متطرف في جدله، وعدائه

للإسلام . . وكان الاستشراق في هذه المرحلة مظهراً للصراع الديني والأيديولوجي بين العالمين الأوروبي المسيحي والشرق الإسلامي.

والمرحلة الثانية :

وتمتد من عصر النهضة حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي. وفي هذه المرحلة أثرت في مفهوم الاستشراق عدة عوامل أهمها : النزعة الإنسانية التي سادت في عصر النهضة، وحركة التنوير «النزعة العقلية»، فأدت هاتان النزعتان إلى دراسات للشرق الإسلامي أكثر موضوعية.

والمرحلة الثالثة:

من القرن التاسع عشر إلى وقتنا الحالي. شهدت المرحلة الثالثة للاستشراق عدة تطورات في مفهومه وحركته. وفي هذه المرحلة عاد طابع العداء ليغلب على الغرب للشرق. (٨٥)

وإذا كان الاستشراق قد بدأ بدراسة اللغة العربية والإسلام، فإن الدافع لذلك لم يكن دافعاً علمياً خالصاً لدى جمهرة المستشرقين، لأن من طبيعة الدافع العلمي أن يكو ن نزيهاً عادلاً، حريصاً على استجلاء الحقيقة بتجرد، وصدق، وإنصاف. لا تتحكم فيه موروثات، أو رواسب ثقيلة مما صنعتها البيئة الخاصة، أو أمثله وقائع تاريخية معينة، تتسم بتسجيل فترات الخصومات الدموية، والنزاع العدواني. (٨٦)

ولكن هذه الشروط التي تجعل دراسة الاستشراق للإسلام وتاريخه، واللغة العربية عملا علمياً صحيحاً. ليست متوافرة للمستشرقين الأوربيين الذين اتجهوا للدراسات الإسلامية. ذلك أن

موقف الأوربي من الإسلام ليس موقف كره في غير مبالاه فحسب كما هو الحال في موقفه من سائر الأديان والثقافات، بل هو كره عميق الجذور يقوم في الأكثر على صدور من التعصب الشديد. وهذا الكره ليس عقليا فحسب، ولكنه يصطبغ بصبغة عاطفية قوية. فقد لا تتقبل أوروبا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية، ولكنها تحتفظ دائما - فيما يتعلق بهذين المذهبين - بموقف عقلي متزن، ومبني على التفكير. إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام، يختل التوازن، ويأخذ الميل العاطفي بالتسرب.

حتى أن أبرز المستشرقين الأوربيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام. ويظهر في جميع بحوثهم على الأكثر، كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث في البحث العلمي، بل على أنه متهم يقف أمام قضاته. إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعي العام الذي يحاول إثبات الجريمة. وبعضهم يقوم مقام المحامي في الدفاع. فهو مع اقتناعه شخصياً بإجرام موكله، لا يستطيع أكثر من أن يطلب له مع شيء من الفتور اعتبار الأسباب المخففة. (٨٧)

وعلى الجملة فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش، تلك الدواوين التي أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها في العصور الوسطى، أي تلك الطريقة لم يتفق لها أبداً أن نظرت في القرائن التاريخية بتجرد. ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها، ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذي يقصدون إليه مبدئيا. وإذا تعذر عليهم

الاختيار العرفي للشهود، عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة، التي شهد بها الشهود الحاضرون، ثم فصلوها من المتن، أو تأولوا الشهادات، بروح غير علمي، من سوء القصد، من غير أن ينسبوا قيمة ما إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر، أي من قبل المسلمين أنفسهم.

وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للإسلام وللأمور الإسلامية، تواجهنا في جميع ما كتبه مستشرقي أوروبا. وليس ذلك قاصراً على بلد دون بلد آخر . . إنك تجده في انجلترا، وألمانيا، وفي روسيا، وفرنسا، وفي إيطاليا، وهولندا، وبكلمة واحدة تجده في كل صقع يتجه المستشرقون فيه بأبصارهم نحو الإسلام، ويظهر أنهم ينتشون بشيء من السرور الخبيث، حينما تعرض لهم فرصة، حقيقية أو خيالية، ينالون بها من الإسلام عن طريق النقد. (٨٨)

إذن : الدافع الرئيسي للاستشراق ليس البحث العلمي الخالص، ولا يمكن أن يوصف بأنه دافع علمي، لأنه لا يحرص على الحقيقة، بل يحاول تشويهها بباعث من تعصب راسخ عميق الجذور، يعود إلى النزعة العدوانية الحاقدة التي دفعت الأوربيين إلى الحروب الصليبية. (٨٩)

ويستطيع كل باحث عن تاريخ الاستشراق، أن يتبين بما لا يدع مجالاً للشك. أن الهدف الديني كان وراء نشأة الاستشراق ودعم الدراسات الإسلامية والعربية في أوربا. (٩٠)

والهدف الديني يكاد أن يكون واضحا في كتابات المستشرقين، وقد بدأه الرهبان الذين كان يهمهم أن يطعنوا في

الإسلام، ويحرفوا حقائقه، ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام - وقد كا يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين - دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج، لصوص ، وسفاكو دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي، ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر، بعد أن رأوا الحضارة الحديثة، وقد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين، وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى، فلم يجدوا خيرا من تشديد الهجوم على الإسلام، لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة. (٩١)

وهناك الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراستهم العلمية، وهم قبل كل شيء رجال دين، فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام، في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين، لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية، والتشكيك في التراث الإسلامي، والحضارة الإسلامية وكل ما يتصل بالإسلام من علم، وأدب وتراث. (٩٢)

فالهدف الديني للاستشراق كان يسير منذ البداية في اتجاهات ثلاثة متوازية تعمل معا جنبا إلى جنب، وتتمثل هذه الاتجاهات فيما يأتي:

١) محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعف فيه، وإبرازها والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية واليهودية، والانتقاص من قيمه، والحط من قدر نبيه.

٢) حماية النصارى من خطره، بحجب حقائقه عنهم، واطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.

٣) التبشير وتنصير المسلمين. (٩٣)

وإذا كان السبب الرئيسي المباشر الذي دعا الأوربيين إلى الاستشراق هو سبب ديني وتبشيري، فإننا لا ننكر أن هناك دوافع أخرى للاستشراق، قد تكون سياسية واستعمارية، وقد تكون علمية، وتجارية، وشخصية. إلا أن السبب الديني والسبب التبشيري هما من أكثر الأسباب عداءً للإسلام، وتحريفاً للحق، وتزييفاً للحقائق، وخلطاً بين الحق والباطل.

فمن باعث الحقد والتعصب، تحرك كثير من المستشرقين لتحقيق عدد من الأهداف الدينية والسياسية والعلمية المشبوهة، واتخذوا لذلك نهجاً في التشكيك، والمغالطة، وتشويه الحقائق، والإفتراء، والتزوير، وهو نهج لا يسلم منه أو من بعضه، إلا عدد يسير منهم. كما اتبعوا لبلوغ ما يريدون كل وسيلة تتيح لهم بث سمومهم، ونشر أباطيلهم. (٩٤)

وقد استمت بحوثهم ودراساتهم بالظواهر الآتية:

١) إنكار أن يكون القرآن الكريم كتاباً سماوياً منزلاً من عند الله، وحين يُفْحم المستشرقين ما ورد فيه من حقائق تاريخية عند الأمم الماضيَة، مما يستحيل صدوره عن أمي مثل محمد ﷺ، وتبطل دعواهم ببشرية القرآن الكريم وزعمهم بأنه ليس أكثر من تعبير عن انطباع البيئة العربية، في نفس الرسول، حين تبطل دعواهم التافهة هذه يزعمون ما زعمه المشركون

الجاهليون في عهد الرسول ﷺ من أنه استمد هذه المعلومات من أناس كانوا يخبرونه بها، ويتخبطون في ذلك تخبطاً عجيباً. (٩٥)

٢) التشكيك في صحة رسالة النبي ﷺ، ومصدرها الإلهي، فجمهورهم ينكر أن يكون الرسول نبياً موحى إليه من عند الله عز وجل، ويتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب النبي ﷺ أحياناً، فمن المستشرقين من يرجع ذلك إلى «صرع» كان ينتاب النبي ﷺ حينا بعد حين، ومنهم من يفسرها بمرض نفسي وهكذا .. كأن الله عز وجل لم يرسل نبياً قبله، حتى يصعب عليهم تفسير الوحي. ولما كانوا كلهم ما بين يهود ومسيحيين يعترفون بأنبياء التوراة، وهم كانوا أقل شأناً من محمد ﷺ في التاريخ، والتأثير، والمباديء التي نادى بها. كما إنكارهم لنبوة النبي ﷺ تعنتاً، مبعثه التعصب الديني، الذي يملأ نفوس أكثرهم، كرهبان، وقسس، ومبشرين (٩٦)، فالموقف الغربي من رسول الإسلام ﷺ يتشكل في إطار ديني صرف، مترع بالتعصب، والتشنج، والإنفعال، مليء بالحقد، والغضب، والكراهية، تحيطه جهالة عمياء متعمدة حيناً، وغير متعمدة أحياناً. جعلت بين القوم، وبين شخصية الرسول ﷺ سداً يصعب اختراقه. والنتيجة ليست أبحاثا علمية أو موضوعية بحال، إنما ذلك السيل المنهمر من الشتائم، والسباب مارسها رجال دين، من قلب الكنيسة النصرانية باتجاهاتها كافة ومارسها رجال علمانيون لا علاقة لهم بالكنيسة من

قريب أو بعيد . (٩٧)

٣) ويتبع إنكارهم لنبوة الرسول، وسماوية القرآن، إنكارهم أن يكون الإسلام ديناً من عند الله . وإنما هو ملفق - عندهم من الديانتين اليهودية والمسيحية (٩٨)، وليس لهم في ذلك مستند يؤيده البحث العلمي، وإنما هي ادعاءات تستند على بعض نقاط الإلتقاء بين الإسلام واليهودية والمسيحية . (٩٩)

٤) اخضاع النصوص الإسلامية للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم والتحكم فيما يرفضونه، ويقبلونه من النصوص .

٥) تحريفهم للنصوص في كثير من الأحيان، تحريفاً مقصوداً، واساءتهم فهم العبارات حين لا يجدون مجالاً للتحريف . (١٠٠)

بهذه الروح بحث المستشرقون في كل ما يتصل بالإسلام والمسلمين، وقد أتاح لهم تشجيع حكوماتهم، ووفرة المصادر بين أيديهم، وتفرغهم للدراسة، واختصاص كل واحد منهم بفن أو ناحية من نواحي ذلك الفن، يفرغ له جهده في حياته كلها . ساعدهم ذلك كله على أن يصبغوا بحوثهم بصبغة علمية، وأن يحيطوا بثروة من الكتب والنصوص ما لم يحط به كثير من علماء المسلمين الذين يعيشون في مجتمعات لا يجدون فيها متسعاً للتفرغ لما يتفرغ له أولئك المستشرقون . (١٠١)

ولا يفوت الباحث أن يؤكد أن المستشرقين لم يتركوا وسيلة لنشر أبحاثهم وبث آرائهم إلا سلكوها، ومن أهم ذلك :

١) التدريس الجامعي، حيث يكاد أن يكون هناك في كل جامعة أوربية أو أمريكية معهد خاص للدراسات الإسلامية والعربية، بل يوجد في بعض الجامعات أكثر من معهد

للاستشراق. (١٠٢)

٢) جمع المخطوطات وفهرستها، وكان هذا العمل مبنياً على وعي تام بقيمة هذه المخطوطات التي تحمل تراثاً غنياً في شتى مجالات العلوم (١٠٣)، ولم يقف المستشرقون عند جمعهم للتراث وصيانتهم، بل بادروا إلى فهرسته حيثما وجدوه، فهرسة علمية دقيقة. (١٠٤)

٣) التحقيق والنشر، حيث قام المستشرقون بتحقيق عدد كبير من كتب التراث الإسلامي ونشره، وقد عرفنا الكثير من كتب التراث محققاً، ومطبوعاً، على أيديهم، ولم يكتفوا بالتحقيق والنشر لأمهات الكتب، في السيرة والتاريخ، وعلوم القرآن، والتراجم والملل والنحل، والنحو، والتفسير، بل تجاوزوا ذلك إلى التأليف في الدراسات العربية والإسلامية، حتى بلغ ما ألفوه في قرن ونصف- منذ أوائل القرن التاسع عشر، حتى منتصف القرن العشرين- ستين ألف كتاب في التاريخ، والشريعة، والفلسفة، والتصوف، وتاريخ الأدب، واللغة العربية. (١٠٥)

٤) الترجمة من العربية إلى اللغات الأوربية. (١٠٦)

٥) تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته، ورسوله، وقرآنه.

٦) إلقاء المحاضرات في الجامعات، والجمعيات العلمية. (١٠٧)

٧) عقد المؤتمرات وإصدار المجلات الخاصة ببحوثهم عن الإسلام وتاريخه، ونظمه وبلاده، وشعوبه، وتقوم على تنظيم هذه المؤتمرات، واصدار هذه المجلات جمعيات

استشراقية في عدد من البلاد الأوربية . (١٠٨)

٨) عمل الموسوعات، ومن ذلك موسوعة دائرة المعارف الإسلامية، وقد أصدرها المستشرقون بعدة لغات، ولا زالت تجدد طباعتها ويضاف إليها جديد يسيء إلى الإسلام. ولابد أن نشير إلى الأطلس الجغرافي التاريخي للشرقين الأدنى والأوسط، الذي هو قيد الإعداد الآن، ويتوفر على إنجازه مجموعة من المستشرقين في ألمانيا الاتحادية، ويشمل الأقطار الممتدة من السودان غرباً إلى أفغانستان شرقاً. ومن جنوب بلاد العرب إلى البحر الأسود في الشمال، وخرائطه لا تتناول المواضع الجغرافية والتاريخية بالمعنى التقليدي، بل تتجاوز إلي مواضع لم يسبق لأحد أن تناولها في الأطالس، مثل المدارس الفقهية والفتن السياسية، وبعض مظاهر الاتصال، وأماكن العبادة، وتوزيع السكان، وسوف ينتهي في أواسط التسعينات. (١٠٩)

ولا شك أن الاستشراق كان ولا يزال يشكل الجذور الحقيقية التي تقدم المدد للتنصير والاستعمار، والعمالة الثقافية، ويغذي عملية الصراع الفكري، ويشكل المناخ الملائم لفرض السيطرة الاستعمارية على الشرق الإسلامي، وإخضاع شعوبه.

فالاستشراق هو المنجم والمصنع الفكري الذي يمد المنصرين والمستعمرين، وأدوات الغزو الفكري بالمواد التي يسوقونها في العالم الإسلامي، لتحطيم عقيدته، وتخريب عالم أفكاره، والقضاء على شخصيته الحضارية التاريخية. (١١٠)

لقد تطورت الوسائل، وتعددت طرق المواجهة الثقافية

الحديثة. ويكفي أن نشير إلى مراكز البحوث والدراسات، سواء أكانت مستقلة أم أقساماً للدراسات الشرقية، في الجامعات العلمية، وما يوضع تحت تصرفها من الامكانات المادية، أو المبتكرات العلمية، والاختصاصات الدراسية، تمثل الصور الأحدث في تطور الاستشراق، حيث تمكن أصحاب القرار من الاطلاع والرصد، لما يجري في العالم يوميا. (١١١)

ففي القارة الأمريكية وحدها حوالي عشرة آلاف مركز للبحوث والدراسات، القسم الكبير منها متخصص بشؤون العالم الإسلامي، ووظيفة هذه المراكز تتبع ورصد كل ما يجري في العالم، ومن ثم مناقشة ذلك مع صانعي القرار لتبنى على أساسه الخطط وتوضع الاستراتيجيات الثقافية، والسياسية، وتحدد وسائل التنفيذ. (١١٢)

وإن الباحث في مؤسسات الاستشراق، ووسائلها المختلفة، يجد أنها استطاعت أن تؤثر في العقلية الإسلامية، فهذه دائرة المعارف الإسلامية تعد أكبر مصدر للمعلومات والحقائق الإسلامية، وأثمن زخيرة لها، وتعتبرها بعض البلاد الإسلامية اليوم أساساً للمعلومات الإسلامية، وتقوم بترجمتها إلى لغاتها بنصها وروحها. (١١٣)

ولقد نجحت العقلية الأوربية الاستشراقية في فرض شكليتها وآليتها على التحقيق والتقويم، والنقد والسيطرة على مصادر التراث العربي الإسلامي. ويمكن القول بأن معظم الكتابات العربية المعالجة للتراث، قد سارت على هذا النهج في التاريخ، والأدب وغيره .. ولم تتجاوزه إلا في القليل النادر، وانتهت إلى إيجاد

ركائز عربية معبرة عنها، ومتبنية لوجهة نظرها، ومدافعة عن المواقع الثقافية التي احتلتها حتى في الجامعات، والمؤسسات العلمية. لا يزال الخضوع والاحتكام للقوالب الفكرية التي اكتسبها بعض المثقفين العرب من الجامعات الأوربية. (١١٤)

وبجانب كل هذا فإن الاستشراق يذدهب إلى محاولة إلغاء النسق الفكري الإسلامي، ومحاولة تشكيل العقل المسلم، وفق النسق الغربي الأوربي، وانجاب تلامذة من أبناء العالم الإسلامي، لممارسة هذا الدور والتقدم، باتجاه الجامعات والمعاهد، ومراكز الدراسات، والإعلام، والتربية، في العالم الإسلامي لجعل الفكر الغربي والنسق الغربي هو المنهج، والمرجع، والمصدر، والكتاب. (١١٥)

ومما يلحظه الباحث بوضوح، أن عمليات الاستشراق والتغريب، لم تستسلم، ولم تلق السلاح .. لكن لما أعياها السعي، فبدل أن تقر بفساد نظرياتها وطروحاتها، وعدم إمكانية القبول لها في العالم الإسلامي، تحاول اليوم أن تعتبر أن المشكلة والعلة في بنية العقل المسلم أصلا، لتأتي على البنيان الإسلامي من القواعد، وترسب في النفوس السبب في التخلف، والعجز، والتخاذل الثقافي، وعدم القدرة على الابداع، وقبول الفكر الغربي، هو في بنية هذا العقل، وتكونه، ميراثه الثقافي.

فهو عقل مولع بالجزئية، وعاجز عن النظرة الكلية للأشياء، وهو عاطفي يحب الإثارة والانفعال، ويعجز عن الفعل، وهو محكوم أيضا بموروث ثقافي، لا يستطيع الفكاك منه، فهو لا يفكر بطلاقة وحرية، لأنه محكوم بوحي مسبق، وهو يقوم على منهج

التفكير الاستنتاجي، ويعجز عن التفكير الاستقرائي، وهو معجب بالمنهج البياني، وعاجز عن المنهج البرهاني، وهو يخلط بين الواقع المعاش، والمثال الخيالي، وصاحبه يحب الثأر، ويغرق في الملذات، وأن الإسلام الذي يكون هذا العقل هو دين أمر ونهي، وزجر وكبت للحرية، وإلغاء للاجتهاد، الأمر الذي أدى إلى التقليد وفقدان الشخصية، والقدرة على الإبداع. (١١٦)

ولا بد أن نعترف بأن الاستشراق يستمد قوته من ضعفنا، ووجوده نفسه مشروط بعجز العالم الإسلامي عن معرفة ذاته، فالاستشراق في حد ذاته كان دليل وصاية فكرية، ويوم أن يعي العالم الإسلامي ذاته، وينهض من عجزه، ويلقي على كاهله أثقال التخلف الفكري والحضاري، يومها سيجد الاستشراق نفسه في أزمة وخاصة الاستشراق المشتغل بالإسلام، ويومها لن يجد الجمهور الذي يخاطبه، لا في أوربا، ولا في العالم الإسلامي. ولا يجوز لنا أن ننتظر من غيرنا - أيا كان هذا - أن يساعدنا على النهوض من كبوتنا. (١١٧)

وإذا كان علينا أن نضع عن أنفسنا أغلال الوصاية الفكرية، فإن علينا من ناحية أخرى أن نتحرر من عقدة التخلف التي تسيطر علينا في جميع مناحي حياتنا، والتي تسد علينا منافذ الأمل في الخروج من أزمتنا، فقد تحررنا من الاستعمار العسكري، ولكننا لم نتحرر من القابلية للاستعمار، ولهذا فإن نظرتنا لكل ما يأتي من الغرب هي نظرة التقدير والإكبار، حتى وإن كان هذا الذي يرد إلينا متمثلا في أزياء غريبة عن أذواقنا وتقاليدنا. (١١٨)

وحتى نكون في مستوى الحوار الفكري والتبادل المعرفي،

ونوقف فعلا الغزو الفكري والاختراق الاستشراقي، لا بد أن نكون قادرين على امتلاك الشوكة الفعلية . . أن نكون قادرين على الانتاج الفعلي لمواد ثقافية، تمثل ثقافتنا، وتأتي استجابة لها، وتغري الناس بها، وبذلك وحده نكون في مستوى الحوار، والتبادل المعرفي، فالمواجهة لا تكون بإدانة الآخرين، والنظر إلى الخارج دائما، وإنما تبدأ حقيقة من النظر إلى الداخل أولا لملء الفراغ بعمل بنائي مستمر، وتحصين الذات. (١١٩)

وقد لا يكون المرء مجانباً للصواب، إذا قال : إننا إذا لم نتصدى للتيار الاستشراقي بكل قوة، فسوف نتعرض للانسلاخ والذوبان، لا محالة ، والمعركة بين الاستشراق والإسلام معركة فكرية هائلة، جند لها المستشرقون كل المعاول التي تحاول أن تهزم المسلمين، وتبعدهم عن إسلامهم.

وإن الإنسان الذي يتابع النشاط الاستشراقي، قد يلحظ بوضوح أن هذا النشاط يمثل قمة التحدي للفكر الإسلامي، وقد يكون معروفاً لدى الباحثين: « أن التيارات الفكرية الأجنبية القديمة – التي كانت حافزاً للمسلمين، في تلك الأيام الخوالي، للوقوف أمامها بقوة وصلابة» . (١٢٠)

وقد رأى الإمام الغزالي في عصره أن التيارات الفلسفية يتردد صداها في الأرجاء، وأنها تصول وتجول، في تحد سافر للفكر الإسلامي والمسلمين، فلم يقف الغزالي موقف المتفرج ولم يسب ويشتم، ويصرخ، ويولول، ولم يرغب أن يترك الأمر، ويقول لا شأن لي به، ولكنه عزم على خوض المعركة، فأعد العدة واتخذ لها الأدوات من العلم والمعرفة بما عند هؤلاء.

وقد رأى أن يتقن الفلسفة ويتفرغ لقضاياها، ويتعرف على مقاصد الفلاسفة واستطاع في دقة واتقان أن يخرج كتابه: «مقاصد الفلاسفة»، وكان ما قام به هو الخطوة الأولى في منهج المواجهة للفكر الفلسفي، ثم جاءت الخطوة الثانية بعد ذلك، بالكشف عما في «مقاصد الفلاسفة» من تناقض للفكر ومخالفة للمنطق والعقل، وتعثر في المقاصد، فكان كتاب «تهافت الفلاسفة» يمثل قمة المواجهة.

واستطاع بهذا المنهج النقدي أن يواجه المعركة، ويخوض غمارها في قوة ودقة. ويقول الغزالي معبراً عن ذلك المنهج: «ثم إني ابتدأت - بعد الفراغ من علم الكلام - بعلم الفلسفة، وعلمت يقيناً أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم، من لا يقف على منتهى ذلك العلم، حتى يساوي أعلمهم في أهل ذلك العلم، ثم يزيد عليه، ويجاوز درجته، فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غوره وغائله، وإن ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقاً، ولم أرى أحداً من علماء الإسلام صرف عنايته وهمته إلى ذلك». (١٢١)

وإذا كان الغزالي قد استطاع أن يواجه الفكر الفلسفي في عصره، فإن الأمر بالنسبة للاستشراق يحتاج إلى جهود أفراد ومؤسسات، فمكتبات العالم مليئة بانتاج المستشرقين، وبشتى اللغات الإنسانية، وهناك عشرات المجلات، ومئات المؤسسات التي ترعى الاستشراق، وتعمل لخدمة المستشرقين، وهناك أيضا آلاف العلماء والباحثين من المستشرقين الذين يتفرغون لبحوثهم ودراساتهم، وهناك المؤتمرات الاستشراقية العالمية التي تعقد

حسب الحاجة في العواصم العالمية .

ولقد كان لحركات الفكر الاستشراقي منذ القرن الثامن عشر، قوة دفع ورواج واستقطاب، أثارت اهتمام رجال الفكر الإسلامي بما كتبه المستشرقون عن الإسلام في الكتب والمجلات والموسوعات وعن مصدريه الأساسيين : القرآن الكريم، والسنة النبوية، بعثه الله بهذا الدين الحنيف (١٢٢)، ومواجهة التحديات الاستشراقية، ضرورة لابد منها، إن كنا نريد الحفاظ على عقائدنا التي جاء بها الإسلام، وكنا نريد الحفاظ على ذاتيتنا وشخصيتنا ومواجهة الاستشراق في مجال العقيدة الإسلامية يحتاج - كغيره - إلى بذل جهود صادقة ومخلصة، لرد هذه الطعون المفتراة، حتى لا يأتي زمن نجد أنفسنا فيه بألسنة غير ألسنتنا، نردد ما يقوله المستشرقون دون وعي أو دون أن نحس أننا مسلمون لنا عقائدنا وشخصيتنا .

ومنهج نقد الاستشراق في مجال العقيدة، لابد وأن يقوم من وجهة نظرنا على الأصول الأساسية التالية :

أولا : استيعاب شامل للانتاج الاستشراقي في مجال العقائد الإسلامية، وهذا الاستيعاب لابد منه، ومن حق الأمة الإسلامية أن يعرف أبناؤها ما يقوله الآخرون عنها في عقائدها وغير عقائدها، ليكون أبناء الأمة على بينة مما يقوله أو يتقوله هؤلاء المستشرقون. . ويلزم هذا الاستيعاب الشامل تحقيق الأمور التالية :

١) القيام بحصر شامل لكتابات المستشرقين في مجالات عقائد المسلمين في القرنين التاسع عشر والعشرين بصفة أساسية،

باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية والإيطالية والروسية، ويشمل هذا الحصر : الكتب ، والمجلات، والدوريات.

والقيام بعملية حصر هذه الأعمال الاستشراقية في مجال العقائد يحتاج إلى خبراء وعلماء مسلمين متخصصين، ويحتاج إلى عدد من المساعدين في مجال كل لغة نأخذ منها.

٢) لا بد من توفير كل الأعمال الاستشراقية المشار إليها عن طريق الشراء، إذا كانت متوفرة، أو عن طريق التصوير، إذا لم يمكن شراؤها، وتشكل هذه الأعمال مكتبة استشراقية تكون تحت أيدي الخبراء والعلماء.

٣) يقوم جهاز متعاون من الخبراء في اللغات المختلفة، بتحضير المادة وتصنيف الموضوعات، وضم المادة التي يتكرر الحديث عنها في لغات مختلفة تحت موضوع واحد.

٤) تقدم المادة للعلماء الذين سيقومون بإعداد النقود العلمية، ويراعى عند تقديم المادة للعلماء أن تترجم لهم الأفكار الأساسية للقضايا المعروضة، ليكون عند العلماء تصور شامل لكل ما قيل حول القضية المطروحة، وحتى يغطي التناول للموضوع وجهات النظر التي قيلت فيه. (١٢٣)

٥) تذكر مع المادة التي تقدم للعلماء أسماء المستشرقين الذين تناولوها وأزمنتهم وبيئاتهم، والدوافع وراء مقولاتهم.

٦) العمل على بيان المصادر التي اعتمد عليها المستشرقون، في كتاباتهم عن عقائد المسلمين، وهل هي مصادر إسلامية أصيلة في الموضوع، أم مصادر غير إسلامية. لأن بعض

المستشرقين يعتمد على ما ذكره المستشرقون السابقون، كمصدر أساسي، دون الرجوع إلى كتب المسلمين.

٧) بيان المنهج الذي التزم به هؤلاء الكاتبون في العقائد، لأن بيان مناهج المستشرقين سوف يكشف لنا عن أخطاء جسيمة في المنهج والنتائج، والدارس لمقولات المستشرقين في العقائد الإسلامية يجد في هذه الكتابة تغرباً عن المسلمات وخروجاً صريحاً على البداهات. وما يمكن اعتباره محاولات معتمدة لإصابة هذه المسلمات والبداهات بالجروح والكسور، وهي لن تفعل فعلها في يقين المسلم، إلا في حالات معينة، بينما نجدها تدفعه في أغلب الحالات وأعمها إلى الاشمئزاز والنفور.

هذا مع أن معالجة واقعه، تمتد جذورها إلى عالم الغيب، وترتبط أسبابها بالسماء، ويكون فيها الوحي همزة وصل مباشرة بين الله سبحانه ورسوله الكريم، ويتربى في ظلالها المنتمون على عين الله ورسوله ليكون تعبيراً حياً عن إيمانهم، وقدوة حسنة للقادمين من بعده، مواقع كهذه لا يمكن بحال أن تعامل كما تعامل الجزئيات والذرات والعناصر في مختبر للكيمياء. أو كما تعامل الخطوط والزوايا والمساحات على تصاميم المهندسين، بل ولا كما تعامل الوقائع التاريخية التي لا ترتبط بأي بعد ديني أصيل. (١٢٤)

إننا هنا بمواجهة تجربة من نوع خاص، وشبكة من العوامل والمؤثرات تند عن حدود مملكة العقل، وتستعصي على التحليل المنطقي الاعتيادي المألوف، ومن ثم فإن محاولة قصرها على الخضوع لمقولات العقل الصرف، ومعطيات المنطق المتوارثة، لا يقود إلى نتائج خاطئة حيناً ولا تستعصي عليه بعض الظواهر حيناً

آخر فحسب، بل إنه يقوم بما يمكن اعتباره جريمة قتل بشكل من الأشكال، أو محاولة لتفحص الجسد البشري، كما لو كان في حالة سكون مطلق بعيداً عن تأثيرات الروح وتعقيدات الحياة. (١٢٥)

وإن الدين، والغيب، والروح، والوحي، والقضاء، والقدر، وما اتصل بهذا من أمور العقائد، ليس بمقدور الحس أو العقل أن يدلي بكلمته فيها إلا بمقدار . . وتبقى المساحات الأكثر عمقاً وامتداداً بعيدة عن حدود عمل الحواس وتحليلات العقل والمنطق.

ثانيا: نقد المنهج الذي التزم به المستشرقون في معالجة قضايا العقيدة الإسلامية، ونقد المنهج هو خطوة حاسمة وضرورية قبل البدء في نقد ما جاء من أخطاء وافتراءات في مجال العقيدة، لأن مناقشة أي من المستشرقين على مستوى التفاصيل والجزئيات العقيدية لا تغني شيئاً، لأنها ستكون بمثابة نقد موقوت يتحرك على السطح، ويستهلك نفسه في الجزئيات، دون أن يبحث عن الجذور العميقة التي تظل تنبت الشوك والحسك.

والجذور العميقة هي المنهج الخاطيء الذي تقوم عليه أبحاث هؤلاء المستشرقين، فإذا استطعنا أن نضع أيدينا على عيوب المنهج وشروخه استطعنا معرفة المنبع الذي يتمخض عنه تيار الأخطاء الموضوعية، وخلخلة الأسس التي جاءت بهذه الثمار المرة واقتلاعها. (١٢٦)

ثالثاً: نقد الأخطاء التي وقع فيها المستشرقون في مجال العقيدة. وعملية نقد هذه الأخطاء والمزاعم، تقتضي منا عرض

الشبهات، والمقولات، ونقدها نقداً علمياً، بعيداً عن النزعات الهجومية، حتي يكون لهذا العمل العلمي أثره الإيجابي لدى المثقفين من المسلمين وغير المسلمين. وحتى يكون كذلك دافعاً للمستشرقين إلى إعادة النظر في أقوالهم، وعوناً لهم على تصحيح اتجاهاتهم. وفي النهاية يكون هذا العمل بمثابة تعريف بالإسلام لكل راغب في التعرف عليه (١٢٧). ولا يخفى أن العمل العلمي القائم على النقد السليم يحمل العمل البنائي، الذي يأخذ بالناس جميعاً إلى العلم والمعرفة. والعملية النقدية الهادفة جديرة بالممارسة والمتابعة، لإثراء الفكر الإنساني بكل حق، وبكل مفيد.

رابعا: إبراز ما ردده بعض المستشرقين في نقدهم لمستشرقين آخرين، فإن هذه النقود العلمية التي ذكرها المستشرقون لها دلائلها، وقد تكون أبلغ في باب النقد والتصدي، والمواجهة، وما أكثر ما جاء عن المستشرقين في باب النقد. إن ما ذكره بعض المستشرقين في هذا الباب يشكل ثروة مفيدة وليس من الكياسة أن نبتعد عن المنصفين.

خامسا: إثبات أن المصادر التي اعتمد عليها رجال الاستشراق غير أصيلة في الموضوع. وقد رأى الباحثون أن المستشرقين قد يرجعون إلى آراء مستشرقين سابقين قد أعماهم التعصب، فنفثوا سمومهم فيما كتبوه، وبعضهم يرجع إلى مصادر لا تتصل بالعقيدة الإسلامية من قريب أو بعيد. وبعضهم يعتمد على كتاب ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، وغيرهما من الكتب التي تجري مجراهما.

سادسا: يحسن أن تحاط النقود ببيان ما وقع فيه بعض المستشرقين من أخطاء علمية، أو لغوية، أو تاريخية، عن جهل، أو عن سوء فهم، وضيق نظر، أو عن شطط في الافتراضات. (١٢٨)

سابعا: أن تقوم النقود التي توجه إلى الاستشراق في مجال العقيدة على منهج يضم الأدلة العقلية، والأدلة النقلية، لأن نقد الاستشراق هو بالدرجة الأولى للمسلمين. حتى لا يخدعوا بهذه البحوث والدراسات التي تصل عن طريق الاستشراق، وحتى لا ينبهروا بهذا التيار.

كما أن نقد الاستشراق هو للمستشرقين، وقد لا يعترفون بالدليل النقلي، فكان لابد من الدليل العقلي المقنع، الذي يجعلهم يفكرون كثيرا قبل أن يقدموا على تناول عقائد المسلمين، بغير المراد.

ثامنا: أن تكون النقود التي توجه إلى الاستشراق في مجال العقيدة شاملة لأراء السلف والخلف في مسائل العقيدة، من الأسماء، والصفات، والتشبيه، والتأويل، والقضاء والقدر، والحرية، والجبرية، وقضية الألوهية، والإسلام، والإيمان، والنبوة، والرسالة، والوحي، والمعجزة، والبعث، وماجرى مجرى هذا من مسائل العقيدة.

تاسعاً: لابد من تفرغ عدد كبير من علماء الأمة الإسلامية - المتخصصين والذين لهم اتصال بالبحوث والدراسات الاستشراقية - للقيام بهذه النقود العلمية واستخراجها على ما ينبغي.

عاشرا: أن تتوفر لهذا العمل الجدية، والجهود المخلصة، لتتمكن

الأمة من المواجهة والعمل.

وهناك أعمال أخرى تتصل بمنهج نقد الاستشراق في مجال العقيدة، وهي ضرورية ليكون هناك تكامل وحسم في المعالجة. ونذكر من تلك الأعمال ما يلي :

١) أن يصاحب النقود التي توجه للاستشراق في مجال العقيدة عمل موسوعة الرد على المستشرقين، وموسوعة الرد شاملة لكل ما تناوله الاستشراق، وفي هذا يقول الدكتور محمود حمدي زقزوق: «إن المواجهة الفكرية الجادة هي الطريق الصحيح لمواجهة أية تيارات مناوئة للإسلام والمسلمين، ومن أجل ذلك ينبغي أن ننظر إلى حركة الاستشراق بكل جدية، ونأخذ في الحسبان أن لها آثاراً كبيرة على قطاعات عريضة من المثقفين في العالم الإسلامي، وفي العالم الغربي على السواء. ولهذا لابد من التوفر على دراسة الاستشراق دراسة عميقة. ولما كان الفكر الاستشراقي مكتوباً بشتى اللغات الحية، ومنتشراً انتشاراً واسعاً على مستوى عالمي، فمواجهته لابد أن تكون على المستوى العالمي نفسه. (١٢٩)

وقد دعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في القاهرة في نهاية عام ١٩٧٩م إلى ندوة لمناقشة موضوع إعداد «موسوعة للرد على المستشرقين» وقد حضر الندوة عدد يزيد على عشرين من العلماء والمفكرين المهتمين بهذا الموضوع، وقد أعدت التقارير وقضي الأمر ونامت الفكرة. (١٣٠)

ولا يفوت الباحث أن يذكر أن موسوعة الرد على المستشرقين تختلف عن منهج نقد الاستشراق في مجال العقيدة

والسنة وغيرهما لأن الموسوعة شاملة للفكر الإسلامي.

٢) لابد من عمل دائرة معارف إسلامية، يقوم بعملها العلماء المسلمون «مشروع إصدار دائرة معارف إسلامية» من بين الأولويات العلمية الملحة، فلا يجوز أن نظل نقتات فكرياً من دائرة المعارف الإسلامية التي قام بإعدادها المستشرقون قبل الحرب العالمية الثانية. فقدتجاوزها المستشرقون وانتهوا منذ بضع سنوات من إصدار دائرة معارف إسلامية جديدة، وواجبنا نحن المسلمين أن نقوم بإصدار دائرة معارف إسلامية باللغة العربية، وباللغات الأوروبية تقف على الأقل في مستوى دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين، تخطيطاً، وتنظيماً، وتتفوق عليها علمياً، وتنقل وجهة النظر الإسلامية في شتى فروع الدراسات الإسلامية والعربية إلى المسلمين وغير المسلمين على السواء. (١٣١)

وقد لا يكون المرء مجانباً للصواب إذا عرف أن تقاعس المسلمين حتى اليوم عن عمل دائرة معارف إسلامية، يدل على الضعف الذي يدب في النفوس، وأن مؤتمرات العلماء المسلمين، وقراراتهم تمثل مظاهرة صاخبة، هاجت وماجت، ثم نامت . . إن مشكلتنا أننا نتكلم أكثر مما نعمل، وإن شئت فقل: إننا نتكلم ولا نعمل.

ومهمتنا لنواجه الاستشراق، أن نعمل على إصدار عدة موسوعات ودوائر معارف في التاريخ، والعقائد، والأدب، والأخلاق، والفقه، والحديث، ومختلف العلوم، والفنون، لأن المعركة فكرية قوامها انتشار الكلمة.

٣) من الضروري لمؤازرة منهج نقد الاستشراق في مجال العقيدة، أن تكون هناك دوريات، ومجلات، ونشرات بمختلف اللغات تتناول ما يتصل بمواجهة الاستشراق لمحاصرة الفكر الاستشراقي، وصد هجومه، والوقوف أمام زحفه.

٤) من الضروري لنجاح التصدي لسوء ما جاء عن بعض المستشرقين أن تكون هناك مؤسسات علمية، وأكاديمية، ودعوية، ترعى شئون النقد، والمواجهة وإعداد الدوريات، والمجلات والمؤتمرات.

وفي امكان الأمة الإسلامية أن تُوجد الهيئات العلمية العالمية، وتهييء الأجواء المناسبة التي تكفل نجاح المواجهة، والتصدي للزحف الاستشراقي، وذلك أن أمتنا الإسلامية حباها الله سبحانه وتعالى بأعظم النعم، كما بها من الجامعات ما يمكن من وجود آلاف العلماء المتخصصين في مختلف العلوم والفنون.

٥) أن نمد يد الصداقة والمودة للهيئات الاستشراقية العالمية، وأن يكون لنا دور بالمشاركة في المؤتمرات الاستشراقية التي تعقد في مختلف العواصم العالمية.

وهذه المشاركة لها أثر إيجابي في نفوس المستشرقين، فقد تجعل المستشرقين يشعرون بأننا لسنا منعزلين، وإننا نريد أن نفهمهم من نحن، ومن نكون؟ ومن الكياسة أن ندعو بعض المستشرقين المنصفين لفكرنا، وتراثنا إلى مؤتمراتنا وندواتنا.

٦) أن تقيم كل جامعة في مجتمعات الأمة الإسلامية معهداً للدراسات الاستشراقية، يمنح الدارسون في هذا المعهد درجات علمية عالمية، وقد لا يتصور الإنسان أن الأمة الإسلامية وقد تعددت جامعاتها المختلفة، لم تعمل بعد على إنشاء معاهد أو أقسام للدراسات الاستشراقية، في حين أننا نجد أنه ما من جامعة في أوربا أو أمريكا إلا وملحق بها معاهد وأقسام لدراسة الإسلام والمسلمين، حتى أصبحنا بحركاتنا وسكناتنا واقعين تحت سيطرة وأقوال وآراء الاستشراق.

٧) أن تعمل كل جامعة وكل معهد وكل مؤسسة، على تفرغ عدد معين من أساتذتها للدراسات الاستشراقية في مواضيع محددة.

٨) أن يكو ن هناك تنسيق وتخطيط بين المؤسسات الإسلامية، وتكامل في الموضوعات المطروحة.

وبهذه الأعمال العلمية نستطيع أن نتصدى للتحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، وبهذه الأعمال نستطيع أن نكشف في وضوح أن جهود المستشرقين لا تستند على حجة، ولا عقل، ولا منطق، بل هي جهود مغرضة، الهدف منها النيل من الإسلام وأهله، وقد اتسمت هذه الجهود بالكذب والافتراء والمغالطة.

ومن يتصفح كتب المستشرقين وموسوعاتهم ودوائرهم .. يجد مئات من الاتهامات والأباطيل، وآلاف التخريجات التي لا صلة لها بالعلم.

وإذا كان المسلمون يرون أنهم في صحوة إسلامية، ووعي إسلامي، فإن من مباديء الصحوة الإسلامية وأولوياتها: مواجهة

الاستشراق والمستشرقين حتى لا يأتي وقت تكون فيه هذه الصحوات إرادة استشراقية، وتجارب مرادة تجعل المسلمين يهتمون بالأشكال والقشور، وكل ما من شأنه أن يبعث على الجمود، والتأخر، والتخلف.

إن أمتنا تتطلع إلى غد مشرق والتطلع يحتاج إلي علمٍ وعملٍ، وجهود بناءة تكون علّامات مضّيئة في الطريق.

ثانيا : مواجهة التبشير :

كلمة التبشير من الكلمات التي أطلقت على المنظمات الدينية النصرانية، التي تستهدف نشر الديانة النصرانية في المجتمعات الإسلامية والوثنية والإلحادية.

ومما يجدر أن نعرفه أن البعض من الدارسين والباحثين، يستعملون في بحوثهم التي تتصل بنشر النصرانية كلمة «التنصير» بدلاً من كلمة «التبشير» لأن كلمة التبشير في المعاجم تعني : الخبر الذي يفيد السرور، والبعض الآخر يستعملون كلمة «التبشير» لأن كلمة التبشير هي لسانهم وعقيدتهم، ونحن نستعمل في بحوثنا كلمة الاستعمار، والشيوعية، والاشتراكية، والعلمانية، والديمقراطية، كما ذكرها أصحابها، ولا مانع أن نذكر كلمة التبشير كما جاءت.

والتبشير - كما تذكره الموسوعات - حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية في الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة، وبين

المسلمين بخاصة، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب.

ويعتبر المبشر «ريمون لول» أول نصراني يتولى التبشير بعد فشل الحروب الصليبية في مهمتها، إذ أنه قد تعلم اللغة العربية بكل مشقة، وأخذ يجول في بلاد الشام مناقشاً علماء المسلمين، ومنذ القرن الخامس عشر الميلادي وأثناء الاكتشافات البرتغالية دخل المبشرون الكاثوليك إلى أفريقيا، وبعد ذلك بكثير أخذت ترد الإرساليات التبشيرية البروتستانتية انجليزية وألمانية وفرنسية.

وقد اهتمت الكنيسة بتوجيه الجهود إلى التبشير في المجتمعات الإسلامية، تريد أن تقتلع الإسلام من نفوس المسلمين، أو تبعد المسلمين عن الإسلام حتى يمكن أن يعتز الإنسان بالقومية أو الحزبية أو الاشتراكية، أو ما جرى مجرى هذا دون أن يفكر في الإسلام.

ويكاد يجمع المبشرون فيما بينهم على أن القوة التي تخيف أوربا وأمريكا هي قوة الإسلام والمسلمين. ولذا يعمل التبشير بكل ما يملك على تمزيق الأمة الإسلامية، ويصرح المبشر لورانس براون: بالهدف الحقيقي للمبشرين من عملهم في بلاد المسلمين فيقول: «إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نقمة له، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير».

ويعبر القس صموئيل زويمر عن النوايا السيئة التي تحملها النصرانية للإسلام والمسلمين، فيقول: «لا ينبغي للمبشر المسيحي أن يفشل أو أن ييأس ويقنط عندما يرى أن مساعيه لم تثمر في جلب كثير من المسلمين إلى المسيحية، لكن يكفي جعل الإسلام

يخسر مسلمين بذبذبة بعضهم عندما تذبذب مسلماً وتجعل الإسلام يخسره تعتبر ناجحاً يا أيها المبشر المسيحي، يكفي أن تذبذبه ولو لم يصبح هذا المسلم مسيحيا».

وصمويل زويمر رئيس إرسالية التبشير العربية ورئيس جمعيات التنصير في الشرق الأوسط، كان يتولى إدارة مجلة العالم الإسلامي الإنجليزية التي أنشأها سنة ١٩١١م، ومنذ عام ١٨٩٤م قدمت له الكنيسة الإصلاحية الأمريكية دعمها الكامل، وأبرز مظاهر عمل البعثة التي أسسها زويمر كان في حقل التطبيب، ويعد زويمر من أكبر أعمدة التنصير في العصر الحديث، وقد وضع كتاباً تحت عنوان « العالم الإسلامي اليوم» جاء فيه :

١) يجب اقناع المسلمين بأن النصاري ليسوا أعداء لهم.
٢) يجب نشر الكتاب المقدس بلغات المسلمين لأنه أهم عمل مسيحي.
٣) تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها.
٤) ينبغي للمبشرين ألا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة، إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين.

ويقول صمويل زويمر في مؤتمر القدس التنصيري عام ١٩٣٥م: «لكن مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له

بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها».

ويقول أيضا: «إنكم أعددتم نشئاً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي فقد جاء النشء طبقاً لما أراده الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور، ويحب الراحة والكسل، فإذا تعلم فللشهوة، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوة يجود بكل شيء».

إن المبشرين كانوا يخططون لاختراق مجتمعات المسلمين في دقة وخبث ودهاء، فالمبشر لويس ماسينيون قام على رعاية التبشير والتنصير في مصر، وكان عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، كما أنه كان مستشاراً لوزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمال إفريقيا، والمبشر دون هك كري، كان أكبر شخصية في مؤتمر لوزان التبشيري وهو بروتستانتي، عمل مبشراً في الباكستان لمدة عشرين سنة.

ولقد كان للمبشرين ولا يزال الكثير من المؤتمرات الإقليمية والعالمية التي يناقشون فيها خطط التبشير، واتخاذ ما يرونه مناسباً لهم، ومن تلك المؤتمرات المؤتمر التبشيري العالمي في أدنبره باسكتولندة عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م، وقد حضره مندوبون عن (١٥٩) جمعي ةأخطر المؤتمرات مؤتمر كولورادو في ١٥ أكتوبر ١٩٧٨م تحت اسم «مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين» حضره مائة وخمسون مشتركاً يمثلون أنشط العناصر التنصيرية في العالم، استمر لمدة أسبوعين بشكل مغلق، وانتهى بوضع استراتيجية بقيت سرية لخطورتها.

وما أكثر مؤتمرات التبشير التي تعقد في أماكن متفرقة حسب

الحاجة لعرقلة جهود المسلمين، واقتلاعهم من الإسلام، ويتخذ المبشرون وسائل وأساليب متعددة تحيط بالإنسان، ومن وسائلهم التطبيب، والتعليم، والأعمال الاجتماعية، والفتن، والحروب، يقول الدكتور نجيب الكيلاني: «إن روح التعصب الأعمى ضد كل ما هو إسلامي لم تزل سائدة حتى أيامنا هذه، تلك الروح التي غذاها المبشرون ورجال الدين من معتنقي الصليبية القديمة».

وإن الباحث في أساليب التبشير التي أحاطت بالمسلمين يجد أن هذه الأساليب أضرت بالمجتمعات الإسلامية، وأصبحت عاملاً معوقاً لكل تقدم إسلامي، وقد نجح التبشير في مواقع كثيرة لأن امكاناتهم هائلة ويتحملون ويعملون ويصبرون ويخططون ويتربصون، وإذا كنا تنبهنا أخيراً إلى الأخطار المحدقة بالمسلمين من جانب المبشرين، فإن تنبهنا لم يأخذ بنا إلى الطريق السليم، وليس من الكياسة أن نكتفي بإنشاء مراكز للدعوة هنا وهناك، إن الأمر يقتضي قبل مراكز الدعوة أن نكون أقمنا الملاجيء والمستشفيات والمدارس والمعاهد ومؤسسات الإغاثة والإعاشة.

المواجهة الصحيحة تقتضي عملاً يعمل، لا كلاماً يقال، إن المبشرين يعملون ونحن لا نعمل، وإذا رغبنا في مواجهتهم لانقاذ اخواننا المسلمين فلا بد وأن يكون عملنا أزيد من عملهم، وتحركاً أسرع من تحركهم.

وإن المواجهة تحتاج إلى تخطيط، وتنظيم واتساع المواقع، والتعرف الدقيق، فإذا ما فعلنا ذلك، كان ذلك بداية في طريق طويل.

أما أن نترك المسلمين في قارة أفريقيا وآسيا وغيرهما

تفترسهما النصرانية فإن ذلك أمر بالغ الخطورة.

وإذا كان للتبشير مؤتمرات دولية، ومعاهد علمية، وجمعيات تبشيرية، فلماذا لا تكون للمسلمين مؤتمرات للدعوة والمواجهة. وهنا ربما يقول قائل: للمسلمين مؤتمرات للدعوة كثيراً ما سمعنا وقرأنا عنها، نعم للمسلمين مؤتمرات، ولكن الناس يجتمعون فيها لينفضوا، فهي تساوي مظاهرة في الشارع، فيها تصفيق وكلام، ثم يدخل كل واحد بيته.

نحن نريد مؤتمرات لا تكون توصياتها وقراراتها حبراً على ورق، وإنما نريد عملاً يعمل في دقة وتخطيط وسرية.

إن المجتمعات الإسلامية تعاني من التسلط التبشيري في الصحافة وسائر وسائل الإعلام ووكالات الأنباء، وتعاني في البيت وفي الشارع وفي أمور كثيرة، قد يعرفها البعض ويسكت، وما أكثر الساكتين لأنهم لا يملكون أن يقولوا شيئاً، إنك ترى برنامجاً في التلفزيون ينطلق من دولة إسلامية عربية فيشدك إلى مزارع وحدائق خضراء بأندونيسيا ومستشفيات ومدارس أخذت بيد الأندونيسي يقال عنها أنها: «من صنع وإدارة وأعمال الكنيسة الكاثوليكية، هكذا تسمع وترى، ولا يخفى أن هذه الدعاية التبشيرية نصرانية، ومن الغريب والعجيب أنك ترى في أسواق الصحافة في بعض البلاد الإسلامية، ما هب ودب، وهو وهي، من المجلات والصحف، وتمنع من الدخول والوصول بعض المجلات والصحف الإسلامية، لماذا؟ لأنها إسلامية، وكل ما هو إسلامي يقض مضاجع المبشرين، ومن المؤلم حقاً أنك تجد عند باعة الصحف مئات المجلات في كل التخصصات ما عدا

الإسلام، فمجلاته قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة، ويبدوا أن هذا ربما تكون وراءه أجهزة تبشيرية، حتى لا يكون هناك التأثير الذي يمنع من التأثر بالتبشير، إن أمتنا الإسلامية مطالبة بأن تتبصر العواقب، وتتعرف على خطواتها بحكمة وتدبر قبل أن يتسع الخرق على الراقع، إن التبشير نجح في تنصير البعض، ونجح في أنه جعل المسلمين في موقف المدافع، وهو موقف المهزوم، فهل نتدارك هذه المواقف، ونتخطاها إلى مواقف المواجهة؟.

١) علينا أن ندرك تماماً أن هؤلاء لا يبشرون بدينهم وعقائدهم، أو يعملون على تحويل المسلم عن الإسلام، إلا في حالة إدراكهم أن المسلمين غير مهمين بالإسلام، سلوكاً وتطبيقاً، ومن هنا كان علينا أن تكون مواجهتنا للتبشير عملاً يعمل يهتم بإنشاء المدارس والمستوصفات، والملاجيء، ورعاية الأيتام، واللقطاء، والمسنين، ويصاحب ذلك توعية إسلامية، وتبشيرية بالإسلام.

٢) إن ما يقوم به التبشير النصراني في إفريقيا والمجتمعات الإسلامية المختلفة، من بناء المستشفيات الخيرية، والمدارس وغيرها مما يقدم للإنسان، هو عمل خيري في الدرجة الأولى، لأن الإنسان في مثل هذه المجتمعات في حاجة إلي من يقدم له يد العون أو المساعدة بالعلم، والخبز، والعلاج، فإذا ما أراد المسلمون المواجهة العملية، فعليهم أن يعملوا مثل ما يعمل المبشرون ويزيدون عليهم.

٣) يجب أن يدرك المسلمون أن التبشير يملك إمكانات هائلة: مادية وبشرية، فمواجهتنا للتبشير يجب أن تتوفر لها

الإمكانات المادية، والطاقات البشرية.

٤) لا بد وأن نواجه التبشير من خلال مخطط دقيق، ينفذ بحكمة وبصيرة، توزع الأدوار ليكون هناك التكامل الواعي.

٥) يصاحب ذلك كله هجوم ونقد للأفكار الغربية والتبشيرية، لننتقل من مرحلة المواجهة - الدفاع - إلى مرحلة الهجوم والنقد.

ثالثا: و إذا كنا عرفنا كيفية مواجهة الاستشراق، وكيفية مواجهة التبشير - وهما أصلان رئيسيان لكل أدوات الغزو الفكري وتياراته في المجتمعات الإسلامية، فإن هذه المواجهة لا تتم إلا إذا قامت أجهزة الإعلام في الشعوب الإسلامية بأمرين:

الأمر الأول: أن تقف أجهزة الإعلام من (صحافة، وإذاعة، وتلفزيون، ومسرح، وسينما، وفيديو) عن تقديم أي شيء يتنافى مع مبادىء الإسلام، لأنه لا فائدة من مواجهة الفكر الاستشراقي والتبشيري في الوقت الذي نجد فيه أجهزة الإعلام تمور بكل ما هو مخالف للإسلام من عرى، وخلاعة، وتقاليد غربية.

الأمر الثاني: أن تواكب مؤسسات الإعلام هذه المواجهة، فتتناولها وتقف من ورائها، وتعمل على مساعدتها بالتوجيه.

وقد لا يكون المرء مجانباً للصواب إذا تأكد لديه أن مؤسسات الإعلام في بعض المجتمعات الإسلامية، قد نجح الاختراق الاستشراقي والتبشيري في الوصول إليها، عن طريق عملائه الذين يديرون شئونها، ولذا كان لا بد من تطهير مؤسسات الإعلام من هؤلاء العملاء الذين وقعوا

فريسة الغزو الفكري، وتربوا في مدارسه ومعاهده.

رابعاً: أن تتوجه النقود إلى أي أثر من آثار الغزو الفكري الموجود بالمجتمعات الإسلامية دون مجاملة لهذه المجتمعات، وأقول هذا، لأن كل مجتمع إسلامي يحب أن يمدح فقط. وقد يكون فيه من البلاوي ما فيه.

ومشكلتنا: أننا نفرح بالمدح، ونجامل بعض على حساب ما يمس شخصيتنا وإسلامنا. يجب أن نضع في الحساب أن أي مجتمع إسلامي هو مجتمعنا دون عنصرية أو إقليمية أو قومية أو حزبية، وبهذا نستطيع أن نتمكن من المواجهة، وتقديم النصيحة.

خامساً: لابد وأن تتجه جهود المصلحين في المجتمعات الإسلامية، إلى التربية لأن المباديء الإسلامية بمفاهيمها الأساسية، ومناهجها التربوية، تصنع شخصية متميزة لها سماتها وغاياتها الخاصة.

ولعل أخطر ما استهدفه الغزو الفكري في برامجه التخريبية، هو هدم شخصيتنا الإسلامية: عقدياً، وثقافياً، وسلوكياً، وعاطفياً.

ولعل معاول الغزو الفكري التي أصابت الكثير، لم تؤثر إلا من جراء انهدام الشخصية الإسلامية.

ولهذا كان لا بد من اتجاه فريق من المصلحين إلى تربية الأجيال، تربية إسلامية تتولى المسئولية والإدارة.

* تربية تجعل الإنسان إيجابياً يعيش في حركة فكرية، ونفيسة، وجسدية، بناءة بعيداً عن السلوك التخريبي.. رافضاً التحجر

والجمود . . لا يرضى بالسلوك الإنسحابي الذي يتهرب من نشاطات الحياة، ويبتعد عن مواجهة الصعاب.

* تربية تؤهل الإنسان للعطاء، وتنمي فيه القدرة على الإنتاج والإبداع، بما تفتح له من آفاق التفكير والممارسة.
* تربية تعد الإنسان إعداداً إنسانياً ناضجاً لممارسة الحياة بالطريقة التي يرسمها ويخطط أبعادها الإسلام، لأن الحياة في نظر الإسلام: عمل، وبناء، وعطاء، وتنافس في الخيرات.
* تربية تجعل الشخصية الإسلامية شخصية متزنة، لا يطغى على موقفها الانفعال، ولا يسيطر عليها التفكير المادي، ولا الانحراف الفكري المتأتي من سيولة العقل وامتداد اللامعقول.
* تربية تبني الإنسان على أساس وحدة فكرية، وسلوكية، وعاطفية، متماسكة، على أساس من التنسيق والتوافق الفكري، والعاطفي، والسلوكي الملتزم، الذي لا يعرف التناقض، ولا الشذوذ.
* تربية تجعل الإنسان المسلم يشعر دوماً أنه مسئول عن الإصلاح، وأنه يجب عليه أن ينهض بمسئوليته، ويقود نحو شاطيء العدل والسلام.
* وإن أمتنا تتطلع إلى غد مشرق، والتطلع يحتاج إلى علم وعمل، وجهود بناءة تكوّن علامات مضيئة في الطريق.

١) انظر: الدكتور توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٦٨٠ ط. دار الوفاء، المنصورة، ١٤٠٨هـ، القاهرة.
٢) المصدر السابق، ص ٦٨٠، بتصرف.
٣) انظر: المصدر السابق، ص ٦٨١ مع تصرف واضافة.
٤) انظر، المصدر السابق، ص ٦٨١ مع تصرف يسير.
٥) الدكتور محمد عمارة، الغزو الفكري وهم أم حقيقة، ص ٦، ط. الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، ١٩٨٨م.
٦) انظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٦٤، ط. الرياض، ١٤٠٩هـ.
٧) انظر: الدكتور محمد عمارة، الغزو الثقافي وهم أم حقيقة، ص ٧ بتصرف.
٨) المصدر السابق، ص ٧.
٩) انظر: الدكتور محمد عمارة، الغزو الفكري وهم أم حقيقة، ص ٨.
١٠) المصدر السابق، ص ٨، ٩.
١١) راجع: الدكتور أحمد السايح، أضواء على الحضارة الإسلامية، ص ٧٨، ط. دار اللواء بالرياض، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
١٢) انظر: الدكتور محمد عمارة، الغزو الفكري وهم أم حقيقة، ص ٩، بتصرف.
١٣) انظر: الدكتور توفيق الطويل، الحضارة الإسلامية

والحضارة الأوربية، ص ١٥١ ط. مكتبة التراث الإسلامي، مصر، ١٩٩٠م.

١٤) انظر: الدكتور محمد عمارة، الغزو الفكري وهم أم حقيقة، ص ١٦.

١٥) انظر: الدكتور أحمد عبدالرحيم السايح، أضواء على الحضارة الإسلامية، ص ٩٢.

١٦) انظر: الدكتور محمد عمارة، الغزو الفكري وهم أم حقيقة ص ١٧، ١٨ بتصرف.

١٧) راجع: إبراهيم النعمة، المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري، ص ٧ ط. شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة، العراق، ١٩٨٦م.

١٨) عز الدين الخطيب التميمي وآخرين، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص ٣١ دار الفرقان، عمان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م الأردن.

١٩) توماس الإلكويني، ولد سنة ١٢٢٦م، وتوفى سنة ١٢٧٤، ويعتبر من أعظم الفلاسفة واللاهوتيين في العصر المدرسي المسيحي، وفي ١٣٢٣م منحته الكنيسة الكاثوليكية لقب القديس.

٢٠) مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي، ص٨، ط. دار الإرشاد، بيروت، ١٩٦٩م.

٢١) الدكتور مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ١٨٧، ١٨٨، ط. دار المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٢٢) انظر: د. غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص ٢، ٤ ترجمة عادل زعيتر، ط. الثانية ١٩٤٨م.

٢٣) لوثروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ج١، ص

٦٠، ترجمة نويهض.

(٢٤) راجع نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ص ١٦٤ ط. مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ، بيروت.

(٢٥) إبراهيم النعمة، الإسلام أمام تحديات الغزو الفكري، ص١٢.

(٢٦) أنور الجندي، المد الإسلامي في القرن الخامس عشر الهجري، ص ١٢٦، ط. دار الاعتصام بالقاهرة، ١٩٨٢م.

(٢٧) الدكتور توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٧٠٤، ٧٠٥.

(٢٨) انظر: المصدر السابق.

(٢٩) نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ص١٦٧.

(٣٠) عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٣، ط. بيروت دار القلم، ١٩٧٧م.

(٣١) انظر: المصدر السابق، ص ٧٠٥.

(٣٢) راجع المصدر السابق ص ٧٠٥ وانظر عمر فروخ والخالدي، التبشير والاستعمار ص ١٨٤، ط. المكتبة العصرية، بيروت.

(٣٣) الواقع أن اليهود لم يضطهدهم المسلمون، ولكنهم هم الذين يضطهدون المسلمون ويتآمرون عليهم.

(٣٤) انظر: الدكتور توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٧٠٦، وانظر عمر فروخ والخالدي، التبشير والاستعمار ص ١٨٤.

(٣٥) انظر: الدكتور توفيق الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٧٠٧.

٣٦) راجع الدكتور توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٧٠٧.
٣٧) انظر: عز الدين الخطيب التميمي وآخرين، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص ٣٣.
٣٨) انظر: عز الدين الخطيب التميمي وآخرين، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص ٣٤.
٣٩) انظر: الدكتور محمد البهي، الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي، ص ٥١، ٥٢ بتصرف، ط. دار الفكر، ١٩٧٣م.
٤٠) المصدر السابق، ص ٥١.
٤١) راجع هامش ص ٥٢ من المصدر السابق.
٤٢) راجع المصدر السابق، ص ٥٤.
٤٣) انظر: محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص ٣٤٣، ط. مؤسسة المدينة، جدة، ١٤٠٧هـ.
٤٤) راجع الدكتور توفيق يو سف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٦٨٥.
٤٥) د. أحمد السايح، أضواء على الحضارة الإسلامية، ص ١٥٠.
٤٦) الدكتور توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٦٨٦.
٤٧) الدكتور محمد البهي، الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر، ص ٥٤.
٤٨) انظر الشيخ محمد الغزالي، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، ص ١١٠، ط. دار الشروق، بيروت.
٤٩) راجع المصدر السابق، ص ١١٣.
٥٠) راجع الدكتور توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية

مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٦٩٦ .

٥١) راجع المصدر السابق، ص ٦٩٦ وانظر ابن الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص ٣٥ .

٥٢) انظر: الدكتور توفيق الواعي، الحضارة الإسلامية، مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٦٩٨ .

٥٣) انظر: الدكتور أحمد عبدالرحيم السايح، معارك حاسمة في حيـــاة المسلمين، ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، ط. دار اللواء بالسعودية ١٤٠٩هـ.

٥٤) عباس محمود العقاد، والعقائد والمذاهب، مجلد رقم ١١ ، ص ٤٠٢ ط. دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٥٥) المصدر السابق، ص ٤٣١ .

٥٦) انظر: الدكتور أحمد السايح، عباس محمود العقاد، فيلسوفاً رسالة «ماجستير» ص ١٦٦ .

٥٧) انظر: محمد أمين حسن، خصائص الدعوة الإسلامية، ص ٢٥٧ ط، مكتبة المنار، الأردن. وانظر كذلك الدكتور أحمد السايح، العقيدة والإنسان، مجلة الخفجي، السنة العشـــرون، العـــدد الأول، ص ٤ ، ٥ أبريل ١٩٩٠م السعودية. وانظر: كذلك أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٢١٨ ، ط. دار الكتـاب العربي، ١٤٠٤هـ.

٥٨) الدكتور توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية، مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٧٠١، ٧٠٢ .

٥٩) انظر الدكتور توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية، مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٧٠٨ .

٦٠) انظر: عبدالعزيز على المحويتي، مجلة المنهل ع٤٨٥، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، جمادى الآخرة ١٤١١هـ، جدة، السعودية.

٦١) انظر: الدكتور على عبدالحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص ٢٩، جامعة الإمام، ١٤٠١هـ.
٦٢) المصدر السابق، ص ٣٩ ، ٤٠ .
٦٣) انظر: الدكتور على عبدالحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص ٤٥، ٤٦ .
٦٤) المصدر السابق، ص ٤٦ .
٦٥) المصدر السابق، ص ٧٨ .
٦٦) محب الدين الخطيب، الغارة على العالم الإسلامي، ص ٤٨ ، ط ١٣٨٤هـ.
٦٧) إبراهيم النعمة، المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري، ص ١٣ .
٦٨) انظر: عمر عوده الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص ١٦٧، ١٦٨ .
٦٩) انظر: الدكتور توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٧٢٢ .
٧٠) المصدر السابق، ص ٧٢٣ .
٧١) انظر: وراجع كتابنا، التيارات الفكرية والحركات المعاصرة، ط . دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، ١٤١٢هـ.
٧٢) انظر: عز الدين الخطيب التميمي وآخرين، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص ٤٦ .
٧٣) أنور الجندي ، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، ص ٤٧ ، ٤٨، ط المكتب الإسلامي، بيروت. ١٤٠٣هـ.
٧٤) انظر: الدكتور علي عبدالحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص ٥ ، ٦ .
٧٥) انظر: الدكتور عبدالصبور شاهين، مقدمة كتاب الإسلام

يتحدى، وحيد الدين خان، ص ٨، ٩، ط. المختار الإسلامي، ١٣٩٧هـ، الطبعة السابقة، القاهرة.

٧٦) انظر: الدكتور علي عبدالحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص ٨ ، ١٠ بتصرف.

٧٧) إبراهيم النعمة، المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري، ص ٣٠.

٧٨) أنور الجندي، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، ص ١٨.

٧٩) انظر: الدكتور محمد إبراهيم حسن، الاستشراق وأثره على الثقافة العربية، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد٢٣، ص ٢٥ السنة الثامنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، الرياض.

٨٠) توماس الأكويني، ولد سنة ١٢٢٥م، وتوفى سنة ١٢٧٤م ويعتبر من أعظم الفلاسفة واللاهوتيين في العصر المدرسي المسيحي، وفي سنة ١٣٢٣م منحته الكنيسة الكاثوليكية لقب القديس.

٨١) مالك بن نبي، انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي، ص ٨.

٨٢) الدكتور مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ١٨٧، ١٨٨ بتصرف، ط. المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٨٣) انظر: الدكتور محمد إبراهيم حسن، الاستشراق وأثره على الثقافة العربية، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد ٢٣، ص ٣٥، السنة الثامنة.

٨٤) راجع الدكتورة عزية طه، من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة السادسة، العدد الثالث عشر، ص ٢٣، رمضان

١٤٠٩هـ، أبريل ١٩٨٩م، مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت.

٨٥) الدكتور محمد إبراهيم حسن، الاستشراق وأثره على الثقافة العربية، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد ٢٣، ص ٣٧, ٣٨، باختصار شديد.

٨٦) عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص ١٨٩، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٨٧) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص ٥٢، ٥٣، ترجمة عمر فروخ، ط. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

٨٨) المصدر السابق، ص ٥٣، ٥٤.

٨٩) عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص ١٩٠، ١٩١.

٩٠) الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٧١، ط. كتاب الأمة، ١٤٠٤هـ، قطر.

٩١) عمر عوده الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص١٩١.

٩٢) المصدر السابق، ص ١٩١.

٩٣) الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٧٢.

٩٤) انظر: عمر عوده الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص٢٠.

٩٥) انظر المصدر السابق ص ٢٠٠.

٩٦) راجع الدكتور مصطفى السباعي، المستشرقون مالهم وما عليهم، ص ١٨، ط. المكتب الإسلامي ببيروت.

٩٧) الدكتور عماد الدين خليل، المستشرق والسيرة النبوية، ص

١٥ ، ط . دار الثقافة بالدوحة .

٩٨) الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٨٥ .

٩٩) راجع عمر عوده الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص٢٠١ .

١٠٠) انظر الدكتور مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ١٨٨ .

١٠١) الدكتور مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ١٨٩ .

١٠٢) الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٥٩ .

١٠٣) المصدر السابق، ص ٦١ .

١٠٤) الدكتور سامي الصقار، دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي، ص ١٥٦ ، من مجلة المنهل، العدد ٤٧١ من المجلد ٥ ، رمضان وشوال ١٤٠٩هـ/ أبريل ومايو ١٩٨٩م، جدة .

١٠٥) عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الأمة، رقم ٢٧ ، ص ٢١ ، الصادر في ربيع الثاني ١٤١١هـ، الدوحة / قطر .

١٠٦) النظر : الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٥٩ .

١٠٧) عمر عوده الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص٢٠٦

١٠٨) المصدر السابق، ص ٢٠٨ .

١٠٩) انظر : عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الأمة رقم ٢٧ ، ص٢٢ .

١١٠) المصدر السابق، عدد ٢٧ ، ص ٨ .

١١١) المصدر السابق، عدد ٢٧ ، ص ٩ .

١١٢) المصدر السابق، عدد ٢٧ ، ص ٩ .
١١٣) الشيخ أبو الحسن الندوي، الإسلام والمستشرقون، مجلة المنهل، عدد ٤٧١، ص ٢٦ .
١١٤) الأستاذ عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الأمة، العدد ٢٧ ، ص ١٤ .
١١٥) المصدر السابق، ص ١٦ .
١١٦) المصدر السابق، ص ٢٧ ، ٢٨ .
١١٧) الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ١٢٧، ١٢٨ .
١١٨) المصدر السابق، ص ١٢٨ .
١١٩) عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الأمة، العدد ٢٧ ،ص ٢٩ .
١٢٠) الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ١٢٤ .
١٢١) الإمام الغزالي، المنقذ من الضلال، ص ٩٢ ، تقديم الدكتور عبدالحليم محمود. ط . دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٥م.
١٢٢) الدكتور التهامي نقرة، القرآن والمستشرقون، ص ٢١، من كتاب « مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، الجزء الأول، ط . مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٩٨٥م.
١٢٣) الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ١٣٤، بتصرف وإضافة واختصار.
١٢٤) الدكتور عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية، ص ٦ ، ط . دار الثقافة بالدوحة، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
١٢٥) المصدر السابق ، ص ٦ .

١٢٦) المصدر السابق، ص ٨ .
١٢٧) الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ١٣٢ .
١٢٨) الدكتور التهامي نقرة، القرآن والمستشرقون، مناهج المستشرقين، ج ١، ص ٢٢ .
١٢٩) الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ١٣١ .
١٣٠) المصدر السابق ، ص ١٣١ .
١٣١) المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

١) ابن نبي، مالك: انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط. دار الإرشاد، بيروت، ١٩٦٩م.
٢) أسد، محمد: الإسلام على مفترق الطرق، ط. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
٣) البهي، محمد: الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي، ط. دار الفكر، ١٩٧٢م.
٤) التميمي وآخرين، عز الدين الخطيب: نظرات في الثقافة الإسلامية، ط. دار الفرقان، عمان ١٤٠٤هـ.
٥) الجندي، أنور: إطار إسلامي للفكر المعاصر، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٠م.
٦) الجندي، أنور: شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، ط. المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.
٧) الجندي، أنور: المد الإسلامي في القرن الخامس عشر، ط. دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٢م.
٨) حسن، محمد أمين: خصائص الدعوة الإسلامية، ط. مكتبة المنار، الأردن.
٩) حسن، محمد إبراهيم: الاستشراق وأثره على الثقافة العربية، مجلة رسالة الخليج العربي، عدد رقم ٢٣، ط. الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج.
١٠) حسين، محمد محمد: الإسلام والحضارة الغربية، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ.
١١) خان، وحيد الدين: الإسلام يتحدى، ط. المختار الإسلامي.
١٢) الخربوطلي، علي حسن: المستشرقون والتاريخ الإسلامي،

ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٦م.
١٣) الخطيب، عمر عودة: لمحات في الثقافة الإسلامية، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
١٤) الخطيب، محب الدين: الغارة على العالم الإسلامي، ١٣٨٤هـ.
١٥) خليل، عماد الدين: المستشرقون والسيرة النبوية، ط. دار الثقافة، الدوحة، ١٤١٠هـ.
١٦) زقزوق، محمد حمدي: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط. كتاب الأمة، دولة قطر، ١٤٠٤هـ.
١٧) السباعي، مصطفي: الاستشراق والمستشرقون، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
١٨) السباعي، مصطفى: الاستشراق والمستشرقون، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٥م.
١٩) السايح، أحمد عبدالرحيم: أضواء على الحضارة الإسلامية، ط. دار اللواء السعودية، ١٤٠١هـ.
٢٠) السايح، أحمد عبدالرحيم: التيارات الفكرية والحركات المعاصرة، ط. دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٩٠م.
٢١) السايح، أحمد عبدالرحيم: العلاقة بين الاستشراق والتبشير، ط. كلية أصول الدين والدعوة بشبين الكوم، مصر، ١٩٨٩م.
٢٢) السايح، أحمد عبدالرحيم: معارك حاسمة في حياة المسلمين، ط. دار اللواء بالرياض، ١٤٠٩هـ.
٢٣) السايح، أحمد عبدالرحيم: هذا هو الإسلام، ط. دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٩م.
٢٤) سمابلوفتش، أحمد: فلسفة الاستشراق، ط. دار المعارف، مصر.

٢٥) ضياء الدين، حسن: الاستشراق، مجلة كلية الشريعة، العدد الخامس، مكة المكرمة، ١٤٠١هـ.
٢٦) طه، عزية: من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، ع١٣، رمضان ١٤٠٩هـ، مجلس النشر العلمي، الكويت.
٢٧) الطهطاوي، محمد عزت إسماعيل: التبشير والاستشراق، ط. مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، ١٣٩٧هـ.
٢٨) العقيقي، نجيب: المستشرقون، ج١، ج٢، ط. دار المعارف، مصر.
٢٩) عمارة، محمد عمارة: الغزو الفكري وهم أم حقيقة، ط. الأمانة العامة للدعوة، الأزهر، ١٩٨٨م.
٣٠) العمري، نادية شريف: أضواء على الثقافة الإسلامية، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ.
٣١) فروخ، عمرفروخ والخالدي: التبشير والاستعمار، ط. المكتبة العصرية، بيروت.
٣٢) فروخ، عمر: الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة من كتاب المستشرقون والإسلام، ط. الهند.
٣٣) قطب، محمد: واقعنا المعاصر، ط. مؤسسة المدينة، جدة، ١٤٠٧هـ.
٣٤) القاريء، الشيخ عبدالعزيز: المستشرقون في الميزان، من محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٣٩٣هـ.
٣٥) الكيلاني، نجيب: الإسلام والقوة المضادة، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ.
٣٦) اللبان، إبراهيم عبدالمجيد: المستشرقون والإسلام، ط. إدارة الثقافة، الأزهر، ١٩٦٨م.
٣٧) لوبون، جوستاف: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر،

ط. الثانية، ١٩٤٨م.
٣٨) مجلة المنهل، عدد متخصص: الاستشراق والمستشرقون، رمضان وشوال ١٤٠٩هـ، عدد رقم ٤٧١، جدة، السعودية.
٣٩) محمود، عبدالحليم: أوروبا والإسلام، ط. منشورات المكتبة العصرية، بيروت.
٤٠) محمود، على عبدالحليم: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ط. جامعة الإمام، ١٤٠١هـ.
٤١) الميداني، عبدالرحمن حسن حنبكه: أجنحة المكر الثلاثة، ط. بيروت، دار القلم، ١٩٧٧م.
٤٢) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط. الرياض، ١٤٠٩هـ.
٤٣) الندوي، أبو الحسن علي: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، ط. دار العلم، الكويت، ١٩٨٣م.
٤٤) النعمة، إبراهيم: المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري، ط. شركة ومطبعة الزهراء، العراق، ١٩٨٦م.
٤٥) النقرة، التهامي: القرآن والمستشرقون، مناهج المستشرقين، ج١، ط. مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٥م.
٤٦) الواعي، توفيق يوسف: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ط. دار الوفاء، المنصورة، ١٤٠٨هـ.

الفهرس

الصفحة



مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون : ٢٣١٦٦٥٣ / ٢٣١٦٦٥٤
فاكس : ٢٣١٦٨٦٦ الرياض